النجف الأشرف

السنة السادسة عشرة - العدد ١٧٣ - شهر صفر ١٤٤١ هـ تشرين الأول ٢٠١٩ م

منع الشعائر

من العصر المغولي إلى التاريخ المعاصر

16th Year Issue No:173-2019

شركة نور الكفيل

العلاقات العامة والمتابعة 07801966624
التسويق والمبيعات 07801966622

www.nooralkafeel.com
hq@nooralkafeel.com

الإنتاج صار

عراقي

%100

غيث شُبَّر

أين أضحت المدرسة؟

ربما تكون أول مدرسة أنشأها بنو البشر انبثقت عند وادي الرافدين، كما يفهم من الألواح الطينية التي خلفها أجدادنا السومريون قبل أكثر من خمسة آلاف سنة، نعم أقدم صورة لمدرسة وصلتنا هي المدرسة الفرعونية في مصر. وبغض النظر عن أنها كانت في العراق أو مصر، إلا أن الحقيقة التي ينبغي أن تكون محط الأنظار هي أن الإنسان في أوائل أيام الحضارة شعر بالحاجة الضرورية للمدرسة، وأنها اللبنة الأساس التي يتمكن من خلالها للوصول إلى المـدنيـة والتقدم.

ومازال هذا المبدأ ساريًا لا غبار عليه، فالمدرسة هي المؤسسة التي ترتكز عليها كل ما يمكن أن يكون نتاجا حضاريا ومدنيا، ولك أن تستكنه تطور الأمم من مدارسها وما تغذيه من معلومات للأجيال التي ستقود المعمورة يوما ما، فالمدرسة معيار ومؤشر مهم لمدى تقدم أي بلد على مستوى الحاضر والمستقبل.

ومن هذا المناط المهم يمكن استكشاف الطريق الأمثل في محاولة التخلص من مشاكلنا المجتمعية العديدة، وهو يتلخص في تطوير القطاع التعليمي، بل ينبغي للقائمين جعل الهم الأول والأهم هو تطوير ذلك القطاع المجتمعي، الذي قد يكون أهم حتى من الأمن الغذائي والميداني، فبتطوير هذا القطاع تنتهي كل المشاكل بعد فينة من الزمن، سواء الأمنية أو الاقتصادية أو السلوكية، فكل المشاكل مرهونة بمقدار تطور المدرسة!

ولطالما كان ما يميز الإنسان عن باقي الكائنات الحية المنتشرة على هذه الأرض سموه بالعلم، ورُهن التطور بالعلم، ورُهن التخلف في كل زمان ومكان بالجهل، والمدرسة هي آلة تعبئة العلم للمجتمع، فكلما كانت هذه الآلة فعالة في عملية ضخ المعلومة كمـّا ونوعًا في المجتمع ارتقى المجتمع تلقائيا لا محالة.

فإذا أردنا في يوم ما أن نلحق بركب الأمم التي سبقتنا ـ من الذين يحدثنا التاريخ أنهم ممن كانوا وراء ظهورنا في هذا السبيل ـ فلا سبيل لنا إلا أن تكون المدرسة هي الهدف الأول والأخير في نظر المجتمع بأجمعه، فلا خلاص من الفقر إلا بالفكر، ولا خلاص من التخلف إلا بالعلم.

وأما الحركات الشعبية المتطرفة الدينية وغير الدينية فهي إنما يقضى عليها بضخ العلم وتطوير الذات، فالشعور بالذات والهدفية، يجعل الفرد المتعلم غرضا بعيد المنال عن تلك الحركات التي تعتمد في جذبها للجماهير بمقدار فشل الذات والشعور بالتذمر وعدم الأهمية عند الأفراد، مما ينشّط الشعور بالانتماء للحركات المتطرفة؛ لتعويض عدم شعوره بتحقيق ذاته، إلا من خلال جماعة عرقية أو دينية متطرفة ينصهر من خلالها كما يشير علماء الاجتماع. فالمدرسة ـ أحبتي ـ طوق النجاة في بحر التذمر الكبير الذي نكاد نغرق فيه!

النجف الأشرف

العدد (١٧٣)
شهر صفر ١٤٤١هـ

شهرية- اجتماعية - ثقافية - عامة - أُسست في ٢٠ نيسان ٢٠٠٣

رحلة ثقافية في ستين صفحة..

تصدر عن مؤسسة المرتضى للثقافة والإرشاد رقم الاعتماد في نقابة الصحفيين (٤٠٠) لسنة ٢٠٠٩

9 من تاريخ النجف الأشرف

14 حكماء

32 آلة الزمن

دأبت المرجعية الشيعية في إظهار مواقف سياسية اتسمت بالعقلانية والحزم، امتدت بامتداد رقعتها الزمنية، تقدم مجلة النجف الأشرف سردًا تاريخيًا لأهم تلك المواقف في التاريخ قبل تأسيس الدولة العراقية وبعدها.

كان ارستقراطيًا، لكنه حارب الارستقراطية، ثم بعد ذلك حارب التسلط باسم الديمقراطية، لخص فكر استاذه سقراط ومزجه بأعداد فيثاغورس، وظل داعية للتوحيد وعدوًا للوثنية، إنه افلاطون.

الشعائر الحسينية نقطة فارقة في الديانات السماوية عمومًا، ولكنها تعرضت لعقبات كؤود من قبل السلطات في مختلف البقاع والأزمنة، مجلة النجف الأشرف تقدم جولة في تاريخ منع تلك الشعائر في أنحاء العالم من زمن السلاجقة حتى عصرنا الحالي.

مؤسسة المرتضى للثقافة والإرشاد

اتصل بمجلة النجف الأشرف

+ 964 780 779 0073

أبواب العدد:

- رمزيات
- أنساق معرفية
- حكماء
- قصة قصيرة
- حديث الصورة
- آلة الزمن
- بانوراما
- فولكلور
- قراءة في كتاب
- واحة الدين

رئيس مجلس الإدارة
السيد محمد حسين العميدي

رئيس التحرير
ليث الموسوي

مدير التحرير
غيث شُبّر

المحررون والكتاب
عدنان الياسري أ.د.صادق المخزومي
باسم الساعدي سليم الجبوري
تحسين عمارة موفق هاشم
حسن الجوادي

الإخراج الفني
مقدادغرافيك - سوسن المقداد - بيروت

مجلة النجف الاشرف

Website:
www.alnajafalashraf.net
www.alnajafalashraf.org

E.mail:
najafmag@gmail.com

P.O.Box: 365

مؤسسة المرتضى للثقافة والإرشاد
النجف الأشرف - نهاية شارع الرسول(ص)

رمزية الإرادة من المشروع الديني إلى المشروع الدنيوي

بقلم: أ. د. صادق المخزومي

الدين منظومة رموز وإشارات لا تقف عند الماضي، وإنما تستوحى منها المعاني للحاضر والمستقبل، لاستشراف ديمومتها.

طلبت من زملائنا في الحج، لو يكتب كل واحد منهم ورقة عما أفاده من هذه التجربة العبادية، فتقبلها بعضهم، ونفرها آخرون، وفي النتيجة لم يكتب أحد.

يشكل الوقوف على مناسك الحج وشعائر بيت الله الحرام، نظامًا عباديًا مهمًا من نظم الإسلام؛ ففي مدخلاته إنّه يرسم الحقوق الشخصيّة، وفي معطياته إنّه اجتماعي بامتياز، فهو تظاهرة كبرى من مختلف الأجناس والبلدان، تجسّد وحدة الكلمة، ووقفة الدين الحق، وتحقيق هوية الإسلام، وهي دعوة سنويّة للتوحد وعدم الشتات.

ثمة مفردات تتواشج في التحصيل والقصديّة، نحو: الهجرة، والسعي، توحي بالذاكرة إلى الرحلة لطلب الدين القيم، حيث البيت الأول قدما في عبادة التوحيد، ولقد

أرست الكتب المقدسة: إنّ إبراهيم وزوجه وابنه كانوا من أقدم الهاجريين إلى البيت، ورفعوا القواعد العباديّة، لتكون شعائر يتنسك فيها الناس في آناء حجّهم أو عمرتهم، ومن تلكم الهجرة انبثق اسم فاعل في الهجرة (هاجر) اسم زوج ابراهيم، التي ينسب إليها أبناء اسماعيل فيما بعد، وأطلق عليهم الهاجريون.

يعد السعي بين الصفا والمروة من الشعائر التي أسست لها هاجر، إذ كانت ـ كما في الترسيم الثقافي للمسلمين ـ تسعى لطلب حياة كريمة لابنها، وكانت تركض أحيانا في طوافها؛ هنا تجدر الإشارة إلى الاعتقادات القديمة والعبادات الطبيعية التي كانت تتمحور على قطب الأنثى، فهي الولادة أبدا، وتنشر شذاها الوجودي بين أرجاء المكان، ما انفكّ وليدها يتبعها ويشاركها هموم الحياة الجديدة، فكان ـ بحسب الروايات الكتابيّة ـ غلامًا، ويشفع له أنّ له فضيلة مشاركة أبيه في رفع القواعد من البيت.

يرمز السعي في مناطه العبادي، وفق المنظور الإنثربولوجي (علم الإنسان) إلى مشاركة الرجل والمرأة إدارة مشروع الحياة، من دون فصل، في منظومة تمثلاتها: إرادة، نيّة، شروع، وإنجاز؛ ولأجل تحقيق اكتمالها، لا مناص من إتباع الضوابط، وترسيم حدود المشروع الزمكانية، المتمثلة في المواقيت والأمكنة، معيار الشروع والنهاية، والموضوعية في الممارسة: الطواف، التلبية، السعي، والصلاة، والرحلة بين عرفة ومزدلفة ومنى، والجمرات، والتقصير، والنفرة... بحسب الترسيمات الإبراهيمية منذ أربعة آلاف عام إلا قليلا، وهذه الفعاليات العبادية ظلّت تكتنفها رابطة إنضباط الجملة العصبيّة اللغويّة والسلوكيّة، أي تحكمها الإرادة من النية وعدم التعثر، وعدم الالتفات، ولا رفث، ولا فسوق، ولا جدال.

إنّ مشروع الحج نظام اجتماعي، تؤمّنه فاعلية الجماعة (الملّة)، وهو ـ في نفس الوقت ـ عمل حقوقيّ، تؤصله فاعليّة الفرد، وفي ضوء الحقوقيّة الشخصيّة ينبغي أنْ تتوافر الإرادة في إدارة منظومة الأداء العبادي، على نحو ينعم بالاستقرار النفسي، والاطمئنان الوجداني، والتمعن في الذات، ومصداقية توجهها نحو ربِّ البيت؛ فالإرادة لبِنَة النجاح وبِنْيَة الفلاح في مشوار مشاريع الحياة، فليكن العمل العبادي في ملاكه الإرادي مصداقا لأهداف مستقبلية على سبيل الدربة والمران، من خلال ايحاءات الكلمة العظيمة «اعمل لدنياك كأنّك تعيش أبدا، واعمل لآخرتك كأنّك تموت غدا».

لعل من موحيات عدم الالتفات، ذات اليمين وذات الشمال، هو النظر إلى الأمام في هدفك، والتمعن بالنفس المطمئنة (الأنا العليا) بمشروعها، بعيدا عن تمثلات النفس اللوامة (الأنا) التي فرشتها اجترار الماضي من دون تغيير، والنفس الامارة التي تؤصل مكانتها في الانشغال بما في أيدي الآخرين على تنوعهم الإثني والجنسي في تلكم التجربة المليونية.

ويوحي عدم الالتفات إلى إمعان النظر في المصلحة الخاصة والعناية بها، فإن إدارة المصلحة في المجال العبادي تقدم خطوة على طريق النجاح، لا سيما عندما تستلهم تحقيق هدف استشرافي، فإنّ التركيز على المصلحة الذاتية ـ عبر رحلة السعي إلى الهدف ـ تمنح قوة الشخصية، وترفع الشعور بالمسؤولية في التفاعل مع مستويات النجاح، وإجادة النظر الى هالة الهدف من مدخلات ومخرجات ـ في الوقت نفسه ـ توقف عجلة الفضول في النظر إلى أهداف الناس، وما يحيطها من هالات.

من القِيَمِ أن يستوحي نظر مجتمع الطواف إلى الذات الإلهية لالتماس الطاقات المقدسة وشحنها في حيثيات المشروع العبادي باتجاه التقوى لتتمة القبول والرحمة، هي بحد ذاتها تمرين لمن يضفي الفلاح إلى مشروعه أن يتقلد طاقات روحية وفكرية وعملية، تتميز بعلوها، إلى مشروعه الابداعي، تضافرا مع المبادرة لاكتمال التقنية، فالتقوى في الدين والتقنية في الدنيا وجها عملة تحقيق الذات في مجالات الحياة.

أغلب ما يسترجى من الشاخص للذات العبادية في البيت الحرام، هو النظر إلى الماضي الشخصي، وما يعتريه من سلوك، بزينه وشينه، وبخاصة ما يعدّ ذنوبًا وسيئات، فالذنوب المتمثلة بالتقصير العبادي، هي ما يخص الله ـ سبحانه ـ حصرًا، فهو أولى بمغفرتها؛ وأمّا السيئات، وفيما يخص الدين المعاملة في المجتمع، توجب استفسارات توخز الضمير، وسؤالات يوم القيامة، ينبغي براءة الذمّة من أصحابها أولًا، ثم يبقى الأمل معقودا بناصية المقدس، عسى أنْ يكفّرها، بغية معياريّة المزيد من الحسنات في غضون المجتمع التي بدورها تذهب السيئات.

من القِيَم التي تنشدها مفردات النظام العبادي هي قيمة الانضباط في باب تحقيق الهدف، فتقدير الذات، وتحقيقها، وتحمل المسؤولية، ونمو القدرة على تحمّل المصاعب والمتاعب، والرقابة الشخصيّة، جميعها تنتج قيمة انضباط شخصي ذات معدل مرموق يسمح لصاحبها اجتياز الإمتحان نحو شاطئ الأمان، سواء كان المشروع دينيًا أو كان دنيويًا.

لقطات من تاريخ النجف وحوزتها

مرجعية النجف الأشرف وحكام العراق

بقلم: ميثم مهدي الخلخالي

في ضوء كتاب النجف الأشرف وحوزتها للدكتور عبد الهادي الحكيم

لما كانت الحوزة العلمية في النجف الأشرف جامعة رصينة ضمت في صفوفها علماءً افذاذًا على مر الزمن كان لهم الدور الحضاري البارز في إنعاش المسيرة العلمية ورفد جداولها بمسيل مصنفاتهم ومؤلفاتهم وشروحاتهم التي كانت ولا زالت معينا لاينضب لكل ضام في عرصات العلم والمعرفة ولما كان المدار الأساس في التعليم الحوزوي هو فقه مدرسة أهل البيت عليهم السلام وتعاليم الاسلام الصحيحة، إضافة لباقي العلوم المكملة لمسيرة الطالب العلمية، لم تكن الحوزة العلمية بمنهجها وسياقها العام غائبة عن الساحة السياسية وخصوصًا العراقية، منها كون الدين الاسلامي وتعاليمه وسيرة أئمة أهل البيت عليهم السلام تتبنى بناء وصلاح المجتمعات والتصدي لإحقاق الحق ورفع الظلم وبث روح العدل والمساواة والمطالبة بالحقوق وغيرها من الأمور الحياتية التي لاتتماشى إلا مع رسالة الإسلام السمحة وبذلك حينما نركز في حديثنا عن الدور الفاعل لمرجعية النجف الأشرف في الساحة السياسية العراقية فإننا نتحدث عن كل مايخص حضورها أنى كان مادام ذلك الحضور يمثل الشأن العراقي.

فنرى المواقف المشرفة التي اتخذها مراجع النجف وعلماؤها في الدفاع عن استقلال العراق وسيادته وتنبههم لها دون غيرهم من القيادات العراقيه وذلك ماخاطب به المرجعان الشيخ محمد تقي الشيرازي وشيخ الشريعة الأصفهاني قدس سرهما رئيس الولايات المتحدة ويلسون سنة ١٩١٩م يطالبانه في دعم حق العراق ضد الاحتلال البريطاني سنة ١٩١٧م بعد ان أصدر ويلسون مبادئه الأربعة عشر للسلم وتقرير المصير سنة ١٩١٨م وانشاء عصبة الأمم.

ويشير المؤلف الدكتور الحكيم إلى أنه يتلمس بوضوح رؤية جمعت مواقف العديد من مراجع حوزة

النجف الأشرف السياسية في سياق رؤية متقاربة لهؤلاء المراجع متصلة الحلقات وإنْ اختلفت محددات هذه الرؤية ومستوياتها وتعددت مبانيها لدى بعض المراجع عنها لدى البعض الآخر. إنّ الرؤية المتقاربة هذه ربطت حركة أولئك المراجع بعضهم ببعض في نسق متشابه ورؤية متسقة كما بدت تجلياتها سابقًا ابتداءً من موقف الشيخ جعفر الكبير ومرورًا بابنه الشيخ موسى والسيد المجدد الشيرازي والاخوند الخراساني وصولًا للشيخ محمد حسين كاشف الغطاء والسيد أبو الحسن الأصفهاني والسيد محسن الحكيم إلى الإمام السيستاني دام ظله.

فكانت مواقفهم تراعي المصلحة العامة لأبناء الشعب والحفاظ على كرامتهم وتحقيق مطالبهم فنجد جهود الشيخ جعفر الكبير المتوفى عام (١٢٢٧هـ-١٨١٢م) الحثيثه في تخفيف حدة التوتر بين الدولتين الايرانيه والعثمانية التي كان العراق يوم ذاك تابعا لها ويوم سافر قدس سره سنة (١٢٢١هـ-١٨٠٦م) إلى ايران بقصد إطلاق سراح اسرى الدولة العثمانية بعد أن فشل الجيش العثماني في التوغل

بعد أن تفاقمت الأوضاع بين الدولة العثمانية والقاجارية استطاع الشيخ موسى كاشف الغطاء أن يخمد نار الحرب

داخل ايـران فاقنع شاه إيـران فتح علي شـاه وابنـه مـيرزا محمـد علـي بالعفو عـن الاسـرى بعـد ان فشلـت مساعي العثمانيـين في إقناعهم بذلك واستطاع تجنيـب الدولتين المسلمتـين وشعوبهما ومنهـم العراقـي لويـلات الحـروب والدمار.

وتأتـي مواقـف ابنه الشيـخ موسى ت(١٢٤٣هـ-١٨٢٧م) مكملة لمنهج والـده بعـد أن تـولى شـؤون المرجعية بالنجـف حيـث أخـذ دوره الكبير في تحقيـق الصلح بـين الدولتـين العثمانية والايرانيـة ووفق لذلك أيما توفيق حيث يعد ذلـك موقفا وطنيا يسجـل بامتياز لمرجعية النجـف الأشرف اذ استطاعت بجهودهـا وقف زحف جيشـ اجنبي علـى العـراق وخصوصًـا بغـداد سنة (١٢٣٨هـ-١٨٢٣م) يـوم طلـب المرجع الاعلـى الشيخ موسـى كاشف الغطـاء من الشاه القاجـاري محمد علي ميرزا ابـن فتح علـي شاه والـذي كان

فقيه اصولي محدث وعالم كبير شيخ الشيعة اصفهان

انـذاك مقلدًا للشيـخ موسى حين طالبه بـترك محاصرة بغـداد التـي كانت تحت حكم الوالي العثماني داود باشا فاستعان الاخـير بالشيخ كاشـف الغطاء بعد أن أدرك خطر موقفـه فسافر الشيخ قدس سـره بنفسه والتقـى القائـد محمد علي بعـد تمهيد مبـاني الصلح مـع داود باشا وتم الصلـح بينهمـا بعد أن ألـزم الشيخ موسى القائد محمـد علي ميرزا بارجاع الجيوش فامتثل لذلك حيث اتفقوا على شـروط أمضاها داود باشـا واشتهر منذ ذلـك اليوم الشيخ موسـى بالمصلح بين الدولتـين. إضافـة لموقفـه في منع داود باشا من فرض التجنيد الاجباري على النجفيين.

و لم يتوقـف مراجـع النجـف مـن دورهـم الفاعـل في الشـأن السياسـي وحرصهم على حفظ الدم وعدم إراقته وحمايـة العتبات المقدسـة يوم استطاع الشيـخ حسن نجل الشيـخ جعفر الكبير ت(١٢٦٢هـ-١٨٥٤م) مـن دفـع

عادية الوالي العثماني نجيب باشا عن اقتحام النجف سنة ١٨٤٣م.

ونرى الدور البارز الذي لعبه مراجع النجف العظام في قيادة الحركة الدستوريه (المشروطة) كالشيخ محمد كاظم الخراساني والذي كان قطبها والمازندراني والنائيني اذ شكلوا لجنة عام (١٣٢٤هـ-١٩٠٦م) للاجابة على الاسئلة الواردة إليهم من ايران وكانت برئاسة الملا كاظم الخراساني وثلاثين عالما آخر حيث كانت تركز في اجاباتها على دعمهم للدستور وقوانين مجلس الشورى الوطني وقد نلاحظ النضج السياسي الذي تمتع به مراجع النجف وفهم الواقع السياسي من خلال كتاب (تنبيه الأمة وتنزيه المله) الذي ألفّه الشيخ محمد حسين النائيني عام ١٩٠٧م الذي يعد أول محاولة جادة لتنظير شرعي لسلطة دولة دستورية مدنية في الفكر السياسي الشيعي وربما الاسلامي في العصر الحديث تقوم على أساس انتخابات مباشرة عامة للمواطنين بمن فيهم غير المسلمين لاختيار ممثليهم في مجلس تشريعي يتولى إصدار القوانين والتشريعات ورقابة أداء السلطة التنفيذية.

وحين نكث الانكليز بوعودهم بتحرير العراق وسعوا لانتخاب السر برسي كوكس رئيسًا للحكومة البريطانية أصدر الشيخ محمد تقي الشيرازي فتواه بعدم جواز انتخاب غير المسلم. وكتب بعدها أهالي النجف مضبطة تطالب بحقوقهم وقعها العلماء الاعلام وفي مقدمتهم شيخ الشريعه الاصفهاني وغيره من الاشراف والزعماء طالبوا فيها باستقلال العراق عن أي تدخل أجنبي والعيش في ظل دولة عربيه وطنية يراسها ملك عربي مقيد بمجلس تشريعي وطني. ولما يأسوا من تنفيذ مطالبهم وعلموا بسوء نوايا المحتل عقد شيوخ العشائر اجتماعهم في كربلاء ليلة النصف من شعبان سنة (١٣٣٨هـ-١٩١٩م) في مجلس الشيخ محمد تقي الشيرازي وعرضوا عليه التصدي للمحتل والدفاع عن حقوقهم واعلان الثورة اذا تردد الشيخ الشيرازي خوفا على انفلات الامن وعدم القدرة والقابليه على مجابهة المحتل فطمأنه الشيوخ والوجهاء على قابليتهم على ذلك واستعدادهم فبارك لهم جهودهم وكانت الشرارة للثورة انذاك وبعد أن توفي الشيرازي في عام ١٩١٩م تصدى للقيام باتمام المهمة شيخ الشريعة الأصفهاني الذي عرض على المحتل

فرصة أخيرة للحوار، ولكنه لم يلتمس منهم أي استجابة أو رغبة بذلك بعد أن تلقى ردًا غير لائق من الحاكم العام في العراق السير ولسون فكان مما جاء في جواب شيخ الشريعة له (فأبيتم الا اغتصابها (يقصد الحقوق) وجعلتم أصابعكم في اذانكم حذرا من ان تسمعوا مطالباتهم بها فأنتم السبب وعليكم التبعة).

فانطلقت الثورة واتسع نطاقها من النجف لتشمل كل الفرات الأوسط وكانت لرجال الدين اليد الطولى في التوجيه والترتيب والتنسيق للثورة وإدارتها على مستوى العشائر والمناطق الثائرة جميعها وكان لهم الدور البارز بحمل السلاح والتصدي مع الثوار للمحتل وطرده من الارض.

ونرى أن العرق الوطني النابض في دماء رجال الحوزة العلميه ومراجع النجف الأشرف لم يتوقف يوما عن المطالبة بحفظ كرامة المسلم وخصوصا العراقي آنذاك والعيش باستقلالية عن كل غازٍ أو مستعمر يستنزف أمواله ويستعبد ابناءه فكانت عقولهم نابة لذلك وأفكارهم مدروسة لإحباط كل مخطط استعماري بغيض وهذا مانراه من إصدار الامام أبو الحسن الاصفهاني والشيخ محمد حسين لنائيني بحرمة الاشتراك في الانتخابات التي دعت لها الحكومة لاضفاء الشرعية على معاهدة الانتداب التي وقعت بين العراق وبريطانيا سنة ١٩٢٢م إذ تمنح لهم حق الأشراف المباشر على العراق ما لم تستجب الحكومة للمطالب الوطنية.

واستصدر الأصفهاني فتوى ثانية والحقها بثالثه وقعها المراجع الشيخ النائيني والاصفهاني والشيخ مهدي الخالصي فأثرّت أثرها البالغ بأن استقالة حكومة عبد الرحمن النقيب بعد الفتوى باسبوع وتوقفت الانتخابات في العديد من المدن العراقيه فقامت الحكومة بتسفير المراجع الكبار المناوئين لتوجهات الحكومة، وعادوا بعدها للنجف سنة ١٩٢٤م مقيدين الملك ومحملينة المسؤوليه الشرعية بتحقيق مطالب الأمة وضمان حقوقها كاملة إذ كانوا مقيدين بعد التدخل بالشان السياسي وكان هذا دأب الانكليز في إخماد الصوت الوطني بنفي كل غيور مدافع عن استقلال بلده من سطوة الغزاة والمطالبة بحقوقه.

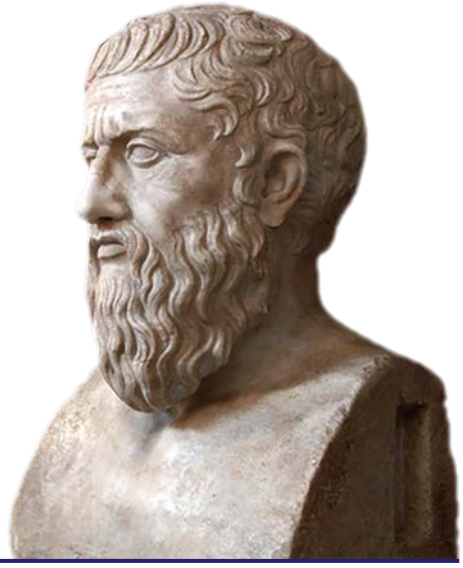

أفلاطون

(٤٢٧ ـ ٣٤٧ ق.م)

فيلسوف نظرية المُثل ومنظّر التوحيد الإلهي

بقلم: موفق هاشم عبيد

في ظل تضارب فكري مشتعل بين مذاهب الفلسفة اليونانية، وفي ظل تيهٍ أحدثته أمواج أفكار متلاطمة، برز رجل استطاع أن يعقّل العقول الجامحة، ويروّض الأفكار المنفلتة، حتى تمكّن من أن يضع الأسس المتينة للفلسفة الغربية والعلوم، إنه أول من أسس أكاديمية في تاريخ البشرية قاطبة، بل يكفيه فخرا أنه التلميذ الملهم لسقراط، والأستاذ المبجل لأرسطو، ذلك هو أفلاطون الأثيني صاحب التصانيف المتنوعة والكتب القيمة.

بعد رحيل سقراط عن الدنيا مقتولا لم يكن أحدا من تلامذته غير أفلاطون قد استوعب أفكاره وعبقريته بشكل تام وكامل، على الرغم مما ادعاه بعض التلامذة من كونهم امتداد أستاذهم سقراط، فهنالك ثلاثة ادعوا ذلك وهما منهم وخطأً، وهم كل من انتيستينس الذي أسس المدرسة الكلبية، وأرستيبوس مؤسس المدرسة التوربنائية، وأقليدس مؤسس المدرسة الميجارية.

وأفلاطون استلهم فلسفة أستاذه سقراط سائرا على نهجه مضيفا عليه، بل استلهم الفلسفة الكونية التي سار عليها كل من الطبيعيين في ملطة والفيثاغوريين في ايطاليا، وكذا الفلسفة الإنسانية التي اهتم بها السوفسطائيون وسقراط، منشئا فلسفة خاصة به وإن كانت مكملة لنهج أستاذه، متوجا إياها بنظرية المُثل، التي صارت لاحقا مصدر إلهام لكل المثاليين على مر العصور.

ولد أفلاطون في أثينا عام ٤٢٧ قبل الميلاد من عائلة استقراطية، وكان في وضع وفّر له التعليم وهيأ له كل وسائل العيش الكريم، فقرأ شعراء اليونان لاسيما هوميروس، كما تعلم البلاغة والشعر حتى كتب في صباه كثير من الأشعار الغزلية والفكاهية، إضافة إلى تأليفه مأساة مسرحية رباعية، وكانت مسرحيات تعكس حالة المجتمع الأثيني في عيد الآله ديونيسوس.

ومن أكثر ما اهتم به أفلاطون هو علم الرياضيات، وكان في هذا الجانب متماشيا مع جميع فلاسفة اليونان

السابقين فضلا عن أستاذه الملهم، حتى أن أفلاطون بعد أن صار بؤرة يلتف حوله المتعلمون وطلاب المعرفة كتب على باب أكاديميته: «من لم يكن رياضيا فلا مكان له هنا».

وقد التقى وهو في العشرين من عمره بأستاذه سقراط الذي بلغ عمره حينها الخامسة والستين، ويكاد يتفق المؤرخون بأن اسم أفلاطون الحقيقي هو أرستوكليس، ونتيجة لعرض جبهته وكتفيه فقد كُنّي بـ(بلاتون)، وجاء العرب لاحقا فأبدلوا (بلاتون) إلى (أفلاطون).

وعندما حصل الاستقراطيون على حكم أثينا بمساعدة اسبرطة عُرض على أفلاطون أعمالا تناسب انتماءه الأرستقراطي، لكنه رفض تلك

استبشر افلاطون خيرًا بالديموقراطية لكن الديموقراطيين مالبثوا أن أعدموا أستاذه سقراط!

العروض وآثر أن ينتظر، وكان ذلك وهو في الثالثة والعشرين من العمر، ولما طغى الأرستقراطيون وبغوا على خصومهم نفيا وقتلا وتدميرا لم يرض أفلاطون بذلك رغم انتمائه لهم، وبعد الانقسام الحاد بين تلك الطبقة ومن ثم هزيمتهم أمام الديمقراطيين استبشر أفلاطون خيرا بالديمقراطية، لا سيما بما حققته بادئ الأمر من إنصاف للشعب وتحقيق العدالة وما إلى ذلك من إيجابيات كانت مفقودة من قبل، وفي تلك الأجواء المقبولة من أفلاطون أحس بميل تجاه السياسة للمشاركة في تعزيز العدل وإحقاق السعادة، لكن تلك الديمقراطية التي استبشر بها خيرا أقدمت على فعل شنيع! إذ قامت بإعدام معلمه وملهمه الأول سقراط! فخاب أمله بالسياسة ويأس منها، وتأكد له أن العدالة في الحكم لا تقوم ارتجالا، بل لابد من التمهيد لها بالتربية والتعليم، فراح يفكر في السياسة ممهدا لها فلسفيا من دون أن تكون له أي مشاركة فيها.

وبعد فقده لمعلمه ترك أثينا ساخطا

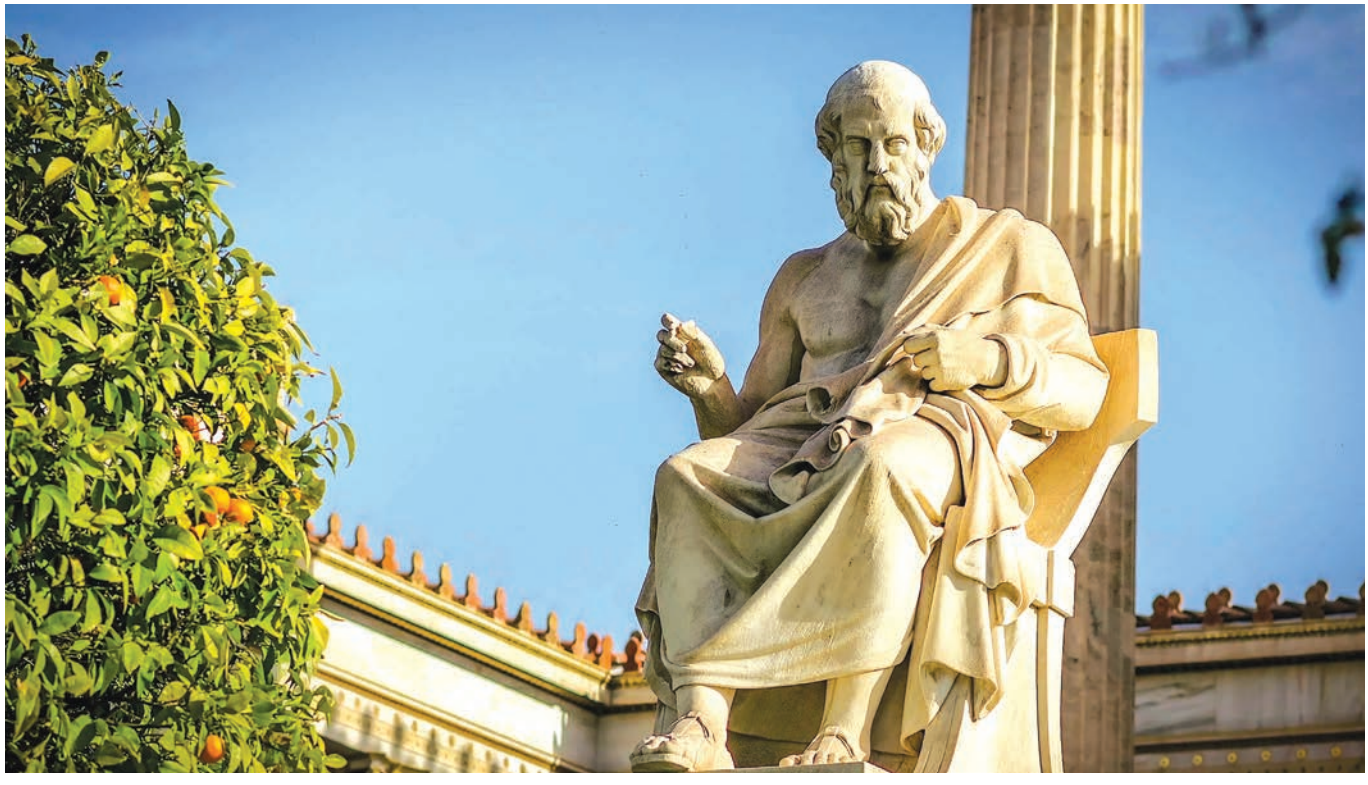

وحزينا، قاصدا صقلية التي سبقه إليها أحد أخوته، ومن هناك سافر إلى مصر طالبا التعلم والتزود من معينها الفرعوني المزدهر في الفلك والرياضيات والأخلاق والتقاليد الدينية والفنون وما إلى ذلك، وقد ذكر بعضا من ملاحظاته التي شاهدها هناك في كتابيه (الجمهورية) و(القوانين)، ثم ترك مصر وسافر إلى مكان آخر ردحا من الزمن قبل أن يعود إليها ثانية، بعد ذلك رجع إلى موطنه أثينا وأقام فيها و لم يبرحها رغم الحرب المستعرة، بل لزم التدريس والتعليم من خلال محاوراته حاصدا اعجاب الأثنيين به، حتى انتهت الحرب عام ٣٨٨ قبل الميلاد، فرحل بعدها إلى جنوب إيطاليا ربما ليقف على المذهب الفيثاغوري عن قرب وفي منبته، فتواصل مع أعلام المدرسة الفيثاغورية وتحاور معهم، وفي تلك الأثناء سمع بأفلاطون ملك سراقوصة في صقلية فدعاه إلى مملكته، فعبر أفلاطون البحر لينزل عند ذاك الملك الذي احتفى به وأكرمه، لكنه فيما بعد غضب عليه بعد أن استمال أفلاطون صهر الملك، الذي لم يكن يطمئن إليه، وربما كان غضب الملك أيضا بسبب بعض آراء أفلاطون الإصلاحية التي لا تخدم توجهات الملك وسلوكياته السيئة، فأمر باعتقاله ومن ثم وُضع في سفينة أُقلع بها إلى جزيرة أجينا التي كانت حليفة لاسبرطة ضد أثينا، فعُرض هناك في سوق العبيد فافتداه رجل من قورينا كان قد عرفه سابقا.

وقد استغرقت رحلة أفلاطون الثانية التي عقبت الحرب أكثر من سنة، بعدها رجع إلى أُثينا عام ٣٨٧ قبل الميلاد، وقام هنالك بإنشاء الأكاديمية الشهيرة في إحدى ضواحي المدينة، وبالتحديد بناها في حدائق أكاديموس ومطلة على بستانه، وهذا ما جعله أن يسميها بـ (الأكاديمية)، وهي جمعية فكرية دينية علمية، أقام فيها معبدا وبقي يعلّم فيها أربعين سنة تقريبا، عدا فترتين سافر فيهما إلى سراقوصة، إحداهما سنة ٣٦٧ والأخرى سنة ٣٦١ قبل الميلاد، وكانت الأكاديمية تضم تلاميذ وطلبة ينتمون إلى أثينا وبقية الجزر اليونانية، والى تراقية وآسيا الصغرى، وكان من بين الطلبة نساء، كل ذلك يدلل على الحركة العلمية القوية التي استطاع أفلاطون أن يقوم بها، وكان التعليم فيها يتناول جميع الفروع المعرفية والعلمية والأدبية، فكانت مدرسته مستوعبة لجل التراث اليوناني، الممتد من هوميروس حتى أستاذه سقراط، مع تركه لكل ما هو غير مفيد حسب وجهة نظره، وعندما بلغ الثمانين من عمره مات، وبالتحديد في سنة ٣٤٧ قبل الميلاد، في وقت كانت الحرب على

بلاده مشتعلة من قبل فيلبوس المقدوني، و لم يشهد ما أصاب بلاده بعد وفاته من تدهور فكري وانحطاط فظيع.

وكان افلاطون لا يميل إلى النزول إلى المجتمع والتحدث إليه مباشرة كما كان يفعل معلمه سقراط الملهم الأول له، ويذهب الدكتور علي الوردي في صفحة ١٥٥ من كتابه «مهزلة العقل البشري» إلى أن أفلاطون كان متكبرا على خلاف أستاذه المتواضع سقراط، إذ قال: «ومما يروى عن أفلاطون أنه كان يقول «أحمد الإله حيث خلقني اغريقيا لا بربريا، حرا لا عبدا، رجلا لا امرأة، وحيث خلقني فوق كل شيء في عصر سقراط» ويبدو لي أن أفلاطون قال الفقرة الأخيرة على طريقة ذر الرماد في العيون»، كما ينتقد الوردي أفلاطون بافتتاحه الأكاديمية، فهو عنده قد نكص وتراجع عن الفلسفة السقراطية العملية التي كانت على تماس مع المجتمع بكل فئاته، حتى اتهمه باستغلال اسم سقراط في محاوراته من أجل طرح أفكاره، حيث قال الوردي في صفحة ١٥٣ و١٥٤ من كتابه المذكور سلفا: «الظاهر أن أفلاطون أراد أن يستغل اسم سقراط في سبيل مصلحته الخاصة وربما حاول أن يتخذ من مقتل سقراط ذريعة للقضاء على السفسطة والديمقراطية اللتين كانتا من ألد أعدائه. وهو إذن يذكرنا بما فعل معاوية في تاريخ الإسلام حين اتخذ قميص عثمان حجة للوصول للخلافة. ومما ساعد أفلاطون على عمله ذاك هو أن سقراط لم يسجل

مع انتمائه لعائلة ارستقراطية، لكنه حارب الارستقراطية ثم حارب بعدها الديمقراطية

تعاليمه في كتاب، بل كان يبثها بين الناس شفهيا. فجاء أفلاطون من بعده وأخذ يسجل تلك التعاليم حسب مذاقه، واعتبر نفسه الممثل الوحيد لرسالة سقراط». وحسبي أن الوردي بميله إلى سقراط مبني على اعتقاده الموهوم بسفسطائية سقراط، فمن يقرأ كتب الدكتور يجد ميله الواضح للنسبية

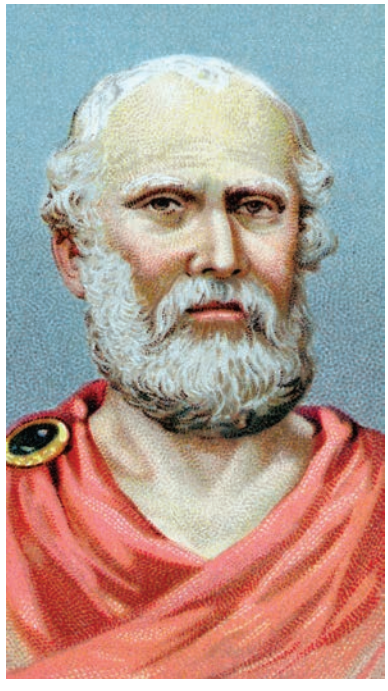

وإطرائه ومديحه للسفطائيين، وهذا في الوقت نفسه يكشف عن خصومته الفكرية مع أفلاطون، الذي حارب النسبية والسفسطة بكل ما أوتي من قوة، و لم يكن الدكتور الوردي أول من توهم وأخطأ بنسبة سقراط إلى السوفسطائية، إذ وقع كثير من الباحثين والكتاب بالخطأ نفسه، وكما ذكرنا في مناسبات سابقة من أن مخالطة سقراط للسوفسطائيين واشتراكه معهم في بعض القضايا والسياسات أوقعت الكثير بذلك التوهم.

ولأفلاطون مؤلفات عديدة اعتمدت على أسلوب الحوار الافتراضي، وهو أسلوب أستاذه سقراط، ومن أهم تلك المؤلفات: (الجمهورية) يتحدث فيه عن سياسة الجماهير والرعية وكيفية إنشاء المدينة الفاضلة، وكتاب (احتجاج سقراط) ويرد فيه حوارات سقراط التي دافع بها عن نفسه في المحاكمة، وكتاب (بروتاغوراس) وفيه حديث عن الفضيلة، كتاب (المأدبة) ويتحدث به عن الحب الإلهي، وكتاب (محاورة فيدون) متحدثا فيه عن قضية خلود النفس ما بعد الموت، وكتاب (محاورة بارمنيدس) وفيه عرض لنظرية المُثل، وكتاب (طيماوس) وفيه يتحدث أفلاطون عن الطبيعة ونشأة الكون والخالق، وكتاب (النواميس) أو (القوانين) وهو آخر مؤلفاته.

وإجمالا يحق لنا أن نصف الفلسفة الأفلاطونية بالفلسفة الثنائية، أي

أنهـا فلسفـة يقوم فيهـا الواقـع المادي الكوني والديني وغـير ذلك على قوتين متقابلتـين: الحقيقة والصـورة، فالعالم عنـده ينقسـم إلى عالم المثـل وهو عالم الحق والحقيقـة، وهو الأساس والقاعدة الارتكازيـة عند أفلاطـون، والى العالم المادي الطبيعي، وهو العالم الذي نعيش فيه ونتحسسه، وهو عالم الظاهر المتحدد بالزمان والمكان، ويذهب أفلاطون إلى النفس موجودة قبل الجسم المادي، وأن كل شيء نراه ونحسـه بحواسنا له مثل علوي هو الحقيقة الموجودة.

فالوجـود الأفلاطـوني إن صـح التعبـير ذو عالمين: عـالم مادي محسوس وهـو الذي نعيش فيـه، وهو متغير على الدوام، والعالم الآخر عقلي أو هو العالم المعقول، والذي لا يمكـن الوصول إليه إلا عن طريق الوعي والإدراك الذهني، وهـو ثابـت لا يتغـير يتصـف بالأبدية والخلـود، ومـا نعيشه من عـالم الحس هو عـالم زائف مخـادع، ملـيء بالخطأ والنقص، وهو ظل لذلك العالم الحقيقي (عالم المعقول).

ويبـدو أن أفلاطـون تأثـر بالنظرية

الفيثاغورية التي جعلت الأعداد والرياضيات مرجعا أو مبدأ للعالم الذي نعيشه، وكما يذهب الدكتور زكي نجيب محمود في صفحة ١٤٤ من كتابه «قصة الفلسفة» بأن نظرية المثل الأفلاطونية يمكن وصفها بأنها تطوير لنظرية العدد عند فيثاغورس. وبعبارة أخرى فإن الأعداد والهندسة هي العالم الحقيقي (المعقول) وفق الفلسفة الفيثاغورية، أما الكون وكل حيثياته المادية المحسوسة ظلال أو انعكاس لذلك العالم، وهذه فلسفة مقاربة جدا إلى فلسفة المُثل الأفلاطونية، التي تعتبر مرجع العالم الحسي الأفكار والمعقولات.

ومن نافلة القول أن رأي أفلاطون في الخالق (الله)، وفي الطبيعة أو الكون، وفي النفس الإنسانية والأخلاق والدولة والفن كلها أفكار مستقاة من نظرية المُثل، وهي وإن كانت متأثرة بالفيثاغورية كما ذكرنا فهي أيضا مزيج من فلسفة أيلية وفلسفة هرقليطس وفلسفة سقراط أستاذه، اجتمعت كلها في بودقة فكره الفذ.

لابد لمن يريد أن يتناول الفكر الأفلاطوني حول الألوهية من فهم نظرية المُثل التي تمهد لاستيعاب مقولاته في هذا الجانب، بل وحتى في كل الجوانب؛ لأنها المنطلق الفكري

آمن أفلاطون بالاله الواحد وأطلق عليه تسميات جميلة منها: المبدع وأبو الكون

لكل أفكاره كما بيّنا سلفًا، وبالنسبة للألوهية فقد آمن معلم الأكاديمية بوجود إله يحكم هذا الكون، حتى تربع الإله في فكر الرجل وفلسفته مكانة سامية، جعلت من المفكرين شرقا وغربا يطلقون على أفلاطون (بأفلاطون الإلهي)، إذ أطلق على الإله في مؤلفاته مسميات عدة تنم عن رقي نظرته التوحيدية، فمرة يسميه بـ (المبدع)، وأخرى يطلق عليه (أبا الكون)، وتارة يدعوه بـ (كتاب القداسة)، ويسميه أيضا (الشمس المعنوية) و(زوس الحقيقي) و(الحي بين الآلهة). وقد بان في جمهوريته الدعوى الجلية في ضرورة غرس الإيمان لصانع الكون في عقول الشباب.

ومما يجدر ذكره أن فكرة الألوهية الأفلاطونية لم يفرضها على الآخرين في كتبه كما في الديانات الأخر، بل هي ليست مقررة تقريرًا واضحًا وصريحًا، فهي مستقاة استنباطا من كتبه التي تناول في كثير منها فكرته عن الألوهية، وهذا التفرّق وعدم التصريح الحرفي إن صح التعبير هو ما جعل الباحثين والشرّاح مختلفين في نظرة هذا الحكيم للإله، ولاسيما في مثال الخير والإله، هل هما شيئان متغايران، وإن كان كذلك من منهما له الأصالة والمبدأ، فإن كان الإله فهذا يتماشى مع التوحيد، وإن كان المبدأ والأصالة لمثال الخير فهذا نقض للتوحيد والألوهية أصلا، حتى ذهب البعض جراء ذلك إلى أن الله ومثال الخير ما هما إلا كلمتان مترادفتان يدلان على معنى واحد في استعمال أفلاطون. والمعطيات الفكرية وقرائن الطرح الفلسفي التي لا مجال لذكرها في هذه العجالة كلها دلائل على توحيد هذا المفكر الغزير.

كيف تفكر الجماهير!

بقلم: حسن الجوادي

تتحرك أي أمة عبر ذخيرتها البشرية وما تمتلكه من شخصيات فاعلة على المستويات كافة، ففي ميدان العلم تتحرك بالمؤسسات العلمية والعلماء وما يقدمونه من أبحاث ودراسات تكون خطوات أولية لإنتاج حاجة يظهر أثرها في المجتمع، وفي حقل التربية تقدم نظريات تربوية تكون نتائجها منعكسة على الطلبة وتظهر آثارها في الحال والمستقبل، وهكذا أي نشاط يقوم به الأفراد ينعكس على المجتمع، فالحديث الذي يجري بين مجموعة في المقهى يمكن أن تجد صوته في البيت بعد يوم بكل وضوح، وأثره في الطابع العام يأخذ وقتاً طويلاً وربما لا يصل فيختفي في الطريق ويستهلك بمرور الأيام وتعاقبها، فعملية خلق الرأي لا تحدث من آراء فردية عشوائية ولا تحدث دون قصدية، نعم إن وزن الفرد بما يتمتع به من قيمة اجتماعية فالوزن في نهاية المطاف ليس لرأي الفرد بقدر ما له من تأثير اجتماعي بسبب الموقع الأسري أو الاقتصادي أو الحزبي أو السياسي، ولا خيار للفرد اذن في تحويل مسيرة الامم والمجتمعات بلا مؤهلات أو قل دون إمكانات، ومن خلال نهج الشخص في الحياة وتأثره بالمحيط يعرف تفكيره وما يريد أن يصل إليه، ونقطة بحثنا في هذه المقالة هي معرفة طريقة تفكير الجماهير، بعبارة أدق، كيف تفكر الجماهير، وهذا الأمر يستدعي معرفة نفسية الجماهير أولاً، والتي هي تستحق دراسة، حتى ولو لم يكن ذلك إلا بغرض الفضول المحض. لأنه من الممتع أن نحلل الدوافع التي تحرك البشر من أجل الانخراط والممارسة، ومن ثم يتم التعرف بصورة دقيقة على الانماط التفكيرية للناس جميعاً، وعلى اثر ذلك يستوعب المرء كيف تدار الجماهير.

يثبت علماء الاجتماع والنفس حقيقة واضحة هي أن الفرد إذا دخل في تجمع ما، ينخرط من تفكيره ويتجه نحو تفكير الجميع وينصاع لهم وتأخذه أفكار غيره وسلوكياته أيضاً، ويظهر ذلك في التجمعات الرياضية أو السياسية أو العامة ولا سيما المظاهرات فيهتف بهتافات لا يعي معناها بعض الأحيان إلا أن العقل الجمعي يأسره ويمنعه من التفكير، ومرجع ذلك إلى أسباب نفسية وثقافية، فالفرد داخل المجموعة لا يحب أن يغرد خارج السرب لأنه سيشعر بانفراده عن التجمع وذلك خلاف ما اتى له، وبعضهم يرى أن صوت الكل هو المؤثر والأهم، وبالتالي هذه الكثرة ستكون صبغة حق للرأي، وبتعبير غوستاف هي عدوى ذهنية أو عقلية وأحياناً يشعر الشخص بقوة عارمة يستمدها من الجمهور وهنالك دقائق كثيرة في هذا الموضوع.

إذا انتقلنا من العالم الواقعي إلى

إن الانتماء أمر فطري فلذا لا يعيش الانسان الفردية في حياته؛ إذ لا بد أن ينضوي إلى تيار ما لأنه مفطور على البحث عن الحقيقة

العالم الافتراضي حيث مواقع التواصل الاجتماعي وشبكة الانترنيت ويمكن إدخال التلفزيون والراديو أيضاً، لنتعرف على طريقة تفكير جماهير هذه المنصات والمواقع، هل ستشبه إلى حد كبير الواقع الحقيقي؟

إن الجماهير في الواقع الافتراضي تقع في الوهم وينغلق تفكيرها أكثر من الواقع الحقيقي، فالمحتوى الذي يأخذ صديات مهمة لا يعني أن الكل تقبله، بل الأمر يرجع إلى سياسة العرض فما تدفعه من أموال تعود لك ثمارها على شكل انتشار وشهرة، والانتشار هذا بحد ذاته سيشكل مقبولية لدى الناس، لأن للانتشار سطوة دعائية وتاطيرية في نفس الوقت، فالذهنية العامة تعيش على المشهورات والمعروفات والمرئيات فالمادة التي تظهر للعين بصورة متكررة ستشكل حيزاً مهماً في الدماغ وبالتالي ستخزن في اللاوعي وهي منطقة تسيطر على مواقف الانسان في أحيان مهمة جداً، ولعل المنصف يرى أن بعض الافراد يشبهون الروبوتات في مسيرتها ومواقفها، فلا تجد لها أي صوت تنفرد فيه، ولا تقف عند موضوع لتحلله وتناقشه، وقد تلتف هذه الفئة من المجتمع حول الشخصيات المشهورة وترفع من ثقلها الاجتماعي.

ان التشكلات التي تحدث حول الشخصيات تأتي نتيجة لدعايات أو تأثيرات عاطفية عبر شعارات تلامس حنين الجمهور أو مزاجه الخاص أو توجهه البيئي أو الديني أو التاريخي أو العرقي، وبالتالي يكون الخطاب موجهًا للعواطف، ولا شك أن استجابة الانسان عبر التأثير بعواطفه أكثر من سرعة استجابته بالتأثير بأفكاره أو التكلم معه بصورة منطقية، وهذا ما يفعله الكثير من المنتشرين في دنيا الناس وفي الفضاءات الالكترونية.

إن الجمهور لا يراجع تفكيره على الدوام، إنما تتم المراجعة لبعض من الجمهور بصورة فردية وهذا أمر مؤسف جداً، ووضوح ذلك لا يحتاج إلى بيان كثير فقد سبق وأن عرفنا أن التجمهر يذيب رأي الفرد داخله وينصهر فيه الانسان بعواطفه ومشاعره فالمشاعر لا تنتج تفكيراً معتدلاً فهي إما تقع بالإفراط أو التفريط، وعلى أساس ذلك يبدو من الصعب جداً أن تغير مجموعة من الناس أفكارها دفعة واحدة، فهي تحتاج إلى تفتت وتشتت، وهذا ما نلاحظه من ممارسات بعض التوجهات الخطرة هي تبدأ بضرب الرأي العام عن طريق تشتت بعض أفراده واظهاره بهزالة وسلبية شديدة جداً، وحملات التسقيط تبدأ من هنا، وهنالك طريقة أخرى وهي ضرب رأي جمهور بجمهور آخر، فيأتي القاصد لتغيير الجمهور وسحبه إليه بطرح مغاير أكثر عاطفية ومشاعرية من الطرف الآخر فيسحب عدداً من الناس بعد أن الغى تفكيرهم بالمرة ومن ثم تتشكل حوله حلقات من الافراد إلى أن يأخذ حيزه وبالتالي ستكون له مساحة كبيرة

إن الجماهير بشكل عام تحب أن يفكر عنها بالنيابة عوضاً عن أن تتعب نفسها بالتفكير

وقاعدة جماهيرية يضرب من خلالها كل شخص يخالفه بنفس هذه الجماهير حتى يحوز على جمهور واسع جداً تصغر أمامه بقية الجماهير الاخرى والتي لها مشاعرها وعواطفها وأفكارها الخاص، ويرى كل جمهور صغير نفسه كالفرد امام الجمهور الكبير، وبالتالي سيذوب هو أيضاً فتتحول كميات من المشاعر صوب الجمهور الأكبر ويتلقف الواقع الاجتماعي ويبتلع الآراء كلها وتنصهر فيه أي كلمة ولا تبقى غير سطوته ولا رأي إلا رأيه.. إن العملية في غاية التعقيد ولا يمكن تفكيكها بسهولة ويسر، يحتاج كل واحد منّا أن يتأمل حاله جيداً، وهل هو يشكل رصيدًا يحارب به قائده أو من ينضوي تحت شعاراته وعباراته!

إن الانتماء اشبه بالأمر الفطري، فالإنسان لا يعيش الفردية في هذه الحياة على الدوام في كل مراحلها وتطوراتها، لابد وأن ينضوي إلى تيار ما أو جهة ما أو توجه ما، لأن الانسان مفطور على اتباع الحقيقة، لكن الأجدر بالمرء أن يبحث عن التجمهر الواعي، وأن يذوب في جمهور يرى أنه على صواب على الأقل في توجهه العام وليس في كل مراحله وتفاصيله، ولكي يهرب من كبش الجمهرة عليه أن يفكر ويقرر قبل الدخول في جمهور بموضوعية ومهنية عالية وأن يجعل مشاعره قيد الحبس ومن ثم يدخل في الفئة التي يراها صحيحة بكل عقلانية أو يختار الطريقة التي يراها مناسبة للتفاعل مع الاحداث التي تعصف بالمجتمع.

إن الجماهير بشكل عام تحب أن يفكر بالنيابة عنها، ولا تتعب نفسها بالتفكير والبحث والتعقل، هي تسعى دائماً لأن يكون لها موقف، لكن كيف يكون هذا الموقف من حيث الصواب والخطأ في عمقه لا يعنيها ذلك، واتمنى أن لا يفهم مثل هذا التعبير عن انه نظرة سوداوية تجاه المجتمع إنما مثل هذه التعابير هي اشبه بالتحليل والتشخيص ورفد المجتمع القارئ بنوع من التحليل وليس النقد في زمن كانت النقود فيه جاهزة بلا رؤية ولا تحقيق.

رذاذ من ذاكرة سجن بغيض!

القاص: موفق هاشم

تمر علينا بعض الأوقات ثقيلة، وهي تلقي على كواهلنا ما لا نستطيع له صبرًا، كم مرت ليالٍ سود وأنا أعتق أحزاني؛ كي أجعل منها حبر دواتي، كانت أوراقي عطشى إلى الارتواء، ليل ما بعده ليل، أهوج كئيب! ليالٍ لا تُبدل فيها المدارات! ولا تغادر فيها النجوم أفلاكها، والصبح يعاني من تهميش مرعب وإقصاء فظيع! فبقي غير مرحب به في مملكتي البائسة!

جميل أن يكون الإنسان حرًا، ولكن لابد للحرية من ضريبة، كل شيء له ضريبة، فأصعب ما يكون على الإنسان أنه يكون حرًا! وأقسى شيء في ذلك تبعاته المؤلمة.. وربما القاتلة! فالحرية صرخة (كلا) بوجه ديكتاتور عارم القسوة! ضد تيار جارف من سيل (نعم)، ضد أكثرية تصفق للجلاد، بين خائف أو طامع أو متملق! فالناس يولدون أحرارًا حقيقة مطلقة، لكن الإنسان شوّه تلك الحقيقة، حينما جعل الحرية تابعًا للقوة، وجعل الناس عبيدا للحاكم!

الظروف السياسية في بلدي ضاقت بنا ذرعًا، وفي الأثناء خرجت بعض الجماهير للتظاهر السلمي؛ لتعبّر عن رفضها لسياسات الحكومة الظالمة، وهنا الحكومة لم تبدِ أي تساهل مع المتظاهرين السلميين، لماذا يا ترى؟!

أيخشى الطغاة الجماهير التي تخرج بأصواتها فقط وفقط؟! أ لهذا الحد مرعب صوت الشعب؟!

كلا للظلم.. كلا للمصادرة.. كلا للانتقام والقسوة.. شعارات مسالمة أطلقها بعض الشباب في بغداد، جابهتهم قوات الأمن بعنف شديد! هرب من هرب واعتُقل من اعتُقل! ولجأ البعض من المتظاهرين إلى البيوت القريبة يختبئون بها، وكان بيتنا أحد تلك البيوت، ومن سوء الحظ رآهم جارنا (أبو هدى)، وهو من الموالين للسلطة والمتملقين لها..

وبعد برهة بدت الشوارع خالية إلا من أصوات العيارات النارية الطائشة، التي يبعث بها جلاوزة السلطة هدايا مجانية لكل مارٍ في الشارع! بل ربما يبعثون بها إلى البيوت التي قد تفتح أبوابها للقدر المقيّد بتلك الابتلاءات! أما بيتنا فربما أرادوا أن يبعثوا إليه هدية تختلف عن تلك الهدايا الطائشة، هدية عن طريق الجار (أبو هدى)، ليثبت للسلطات الحكومية مدى مراعاته للجيرة الحسنة التي أمر بها اسلامنا الحنيف!! وحيث أنا مشغولة في المطبخ سمعت طرقات الباب التي كادت أن تقلعه من أصله! وما إن تحركت لأفتح الباب حتى شاهدت رجالاً يتسلقون الحائط ليعبروا إلى الداخل! أهذه أخلاقهم التي يتغنون بها؟ أتلك رجولتهم العتيدة التي مللنا من سماعها؟ وفي الأثناء سمعت صوت الجار (أبو هدى) معهم! وبعد أن رآني صرخ بوجهي:

- «وين الخونه»؟!

ومفردة «الخائن» مفردة ذات منحى سياسي وأمني خطير، فهي كفيلة بإيصال من تُوجّه إليه إلى مقصلة الإعدام!

حاولت أن أبدو متماسكة، شعرت بالنفور وأنا أنظر إليه، أهذا والد هدى جارتي وصديقتي الخلوقة المأدبة؟! أيقنت حينها أن لمقولة «الطيب يخرج من الخبيث» مصاديق واقعية، اقتحم (أبو هدى) ومن معه بيتنا، وبعد أن قام بواجب الجيرة وأخلاقيات الجار التي عدّت من مكتسبات الثورة وجّه هو ومن معه الاتهام إليّ بإيواء المطلوبين!! وقالوا أنت رهن الاعتقال! حرصت أن أكون هادئة، لبست من الملابس ما فيها ستري من الوحوش الجائعة! خرجت معهم من بيتي وأنا أسحب الخطى ثقالا!

نظرت أستزيد من بيتنا نظرة وداع، وروحي ترتل كلمات الرحيل.. سأغيب عن بيتي.. سأغيب عن أهلي.. سأغيب عن ذاكرتي السعيدة. يا بيتي الجميل.. أيها الرابض تحت أضلعي قرب قلبي! أيها الوطن الصغير.. أول مرّة أعرفك بهذا النحو! أول مرّة أشعر بحبي المستعر تجاهك! يا طائر الجنوب الذي استيقظ من نومه توا.. ها أنذا أفتح لك أبواب قلبي العميقة لتتغلغل أكثر! ادخل واملأ وعاء قلبي ماءك الزمهرير، تمهّل لأستزيد من صورك ونفحاتك! ربما سأغيب عنك طويلاً.. ربما لن أراك ثانية! فكل شيء في غير صالحك وأنت في جمهورية القائد «حفظه الله ورعاه»!!!

كان الوضع في بغداد يكفل لأي شخص بالسلطة أن يفعل ما يشاء دون مساءلة، اقتادوني معصوبة العينين، أشعروني بأني امرأة لست كالنساء، ألهذا الحد أشكّل خطرًا على السلطة؟!

سارت بنا سيارة الجلادين من البيت إلى مقارهم الموزعة في كل حي من بغداد! فيا لكثرتها على ما كنا نسمع! ولتطبيق العدالة الموعودة لابد أن يتساوى الجميع في هبات (الرئيس القائد) على شعبه ورعيته، فكل حي له معتقَل! وكل بيت منه معتقَل! بل وطني صار كله معتقل! بل مصيبة شعبي المنقسم والمغلوب على أمره أن أضحى بين معتقَل ومعتقِل!

وفي الطريق أشعرتني أشجار بغداد التي تزدان بها شوارعها الجميلة كأنها ترافقني، كأنها تريد أن تعزّيني وتواسيني.. همّ خيالي باحتضانها! أراد أن يتلمس أغصانها وأوراقها بعد أن ألقت في روعي طمأنينة وسكينة، أنستني خضرتها وأورادها أسلحة الجلاد المحيطة بي! وقلت في دخالة نفسي: ستبقى البراءة والجمال أقوى من حراب الظالمين!

مرت الأيام تجري بما تحمله من عذاب وآلام وغربة، فالمعتقلات كانت أبشع مما نسمع عنها سابقًا، حتى

أخـذوني إلى المحكمـة، وهنـاك حُكم علي بالسجن سبـع سنوات! ولا أدري أي جـرم فعلته لأسجن هـذه السنين؟! بعدهـا أخذتنـي سيـارة (لاندكـروز) لتذهب بي إلى موطني الجديد! أخذوني ليودعـوني في سجـن الرشـاد، وحيث أنـا أسـير إلى قـدري لا أدري أن سيارة (لاندكروز) أخرى راحت تسير بسرعة قصـوى لتدعس أبـي وأخوتي وأمهم! بينمـا هـم يعـبرون الشـارع اندفعت نحوهم و لم تمهلهم قراءة سورة الفاتحة!

أبي أيها الحبيب.. لم يكتفوا بقتلك وحدك! كرههـم أرشدهم أن يذبحوك أنت وأبناءك وزوجتـك! أدركوا أنكم جميعًـا على خطـى المتقـين.. فقرروا قتلكم جميعًا!

تـراءت لي وأنـا في الطريـق أطلال منطقتـي من بعيـد! تنهـدت بخيبة إلى سعادتـي الذاهبـة.. وغـرق أحلامـي الذابلـة! كل شيء رميتـه ورائي خلف أسوار الزمن! حتـى وصلنا إلى السجن فدخلت فيه وأنا على حال يرثى لها.

دخلـت عالمي الجديد وأنـا أصارع الحياة البائسة فيـه، ليس المهم أن أعيش حيـاة مادية ترفة، بقدر ما كنت أريد أن أعيش حيـاة هادئة هانئة تنعـم بالإيمان والطمأنينة والعشق الإلهي، لا حاجة لي بأسرّة فارهة وطعام من الدرجة الأولى، لا حاجـة لي بالتبريـد صيفًـا والتدفئـة شتاء، ما أريده قليـلًا من الضوء المتسلل مـن فتحـات الأبـواب المهترئـة داخل المعتقـل، ضوء يسير يخفـف عني حدّة الظلام الجارحة.. المهـم أنني استعدتّ

نفسيًا لمواجهة الأسوأ، فكم من أناس أسَرَهم الأرق وهم يرقدون فوق أسِرّة عليها الديباج والحرير! وكم من أناس ناموا هانئين على ألواح من الخشب أو باتوا على قارعة الطريق! أليست حصيرة بسيطة ينام عليها المتصالحون مع ذواتهم خير من فرش من استبرق ينام عليها مرضى ومعتلون؟

لكن مهما يكن من شيء فالسجن عذاب لأولئك الذين يعشقون الحرية والعمل، تقييد لمن يريد أن ينطلق بمشروع إيماني رسالي، يسهم في تقدم المجتمع وسعادته، فأي عبقري ذاك الذي ابتدع تلك العقوبة؟! وهل هو موهوب إلى هذا الحد في فن العبودية والسلطة والتفرد بكرسي الحكم؟! فالقائد المتفرد بحكمه لا يطيق أن يرى من يخالفه في الفكر والعقيدة يصول ويجول بأفكاره هانئًا مرتاح البال!

كانت مديرة السجن امرأة بدينة (أقرب للقصر من الطول) سليطة اللسان، وكأن فمها بؤرة للألفاظ البذيئة، تتعمد الإساءة إلى الأخريات. تساعدها مجموعة من الرقيبات اللاتي أجبرتهنّ الظروف للعمل.

شعرت أنا وزميلاتي أننا نهبط إلى مهاوي الموت البطيء، لكننا تشبثنا بأهداب الأمل، فمن ركب البحر فعليه أن يستعد لمواجهة أمواجه.

حينما يبدأ النهار بجمع أذياله تهيُّئا للرحيل، يبدأ الليل تسلله بلا استئذان، جالبًا معه الصمت الأسود رغم الحراسة الشديدة! فيملأ الممرات والسلالم والزنازين! عندئذ نلوذ إلى بعضنا البعض؛ ربما خوفًا منه وخشية! وربما بسبب تقارب الأفكار والتوجهات، فنحصل على شيء من الراحة النفسية النادرة جدًا في تلك الأماكن والظروف! نعمل على قضاء أوقاتنا بقراءة القرآن الكريم، وحفظ آياته، وتداول ما تجود به الذاكرة من معلومات وأفكار سامية، فضلاً عن الأعمال اليدوية مثل الخياطة والحياكة والتطريز، حتى بتنا نكتفي ذاتيًا في نتاجنا المحلي!

لننظر إلى عمق تجربتنا ولنبصر ما خلف بابها القهري، صرنا نرفو حياتنا مثل ذلك الرفّاء الذي اعتاد أن يخيط ثوبنا المهترئ! في البدء لم نكن أصحاب خبرة بخياطة الحيوات، لبسنا ثيابها كيفما اتفقت لنا، لكنه زمن (القائد الملهم)! الذي تكرّم على أبنائه بمنجزاته الثورية، التي وفّرت لهم الظروف التي تعلمهم طرق عيش جديدة بالمجان! ففي جمهورية (الريس المقدام) ما عليك إلا أن تصنت وتتعلم ما لم يكن بالحسبان! ويا لك من خاسر إن لم تصمت وتنصت! فالثرثرة طريق ربما تودي بك إلى المهالك!

كانت السجينات في الأقسام الأخرى يتمتعن بزيارة عوائلهنّ والحصول على احتياجاتهنّ، فيما عانت سجينات القسم السياسي من التضييق والقسوة والجوع والمعاملة السيئة، واختصرت زيارة عوائلهنّ على تسليم ما يجلبون من متاع إلى الإدارة، فتقوم الإدارة بتفتيشه قبل تسليمه إلى النزيلات، وكثيراً ما كان يتعرض إلى سرقة ما تقع عيونهم عليه، وفي أول زيارة لي خشيت أن تمتد أيديهم إلى القرآن الكريم!

تعاطفت معنا بعض الرقيبات، واستطعنا أن نؤثر فيهنّ ونغيّر من

سلوكهنَّ، وفي إحدى المرات رفضت المديرة تسليم إحدى السجينات حقيبة جاءت بها عائلتها، فلما طالبتُها بها رمتها إلى الأرض باحتقار وتوبيخ، فوقفتُ بوجهها مثل لبوة تدفع الضرر عن أطفالها، كما قمتُ بتحريض زميلاتها ضدها، حتى هزمتها.

لم تستلم المديرة، ثارت لكرامتها وأمرت بحجري في دهليز ضيق لا يدخله الضوء ولا الهواء، تنتشر فيه العفونة والرطوبة، ويفتقر إلى مقومات الحياة! كان المحجر عبارة عن كهف تشتد حرارته مع ارتفاع الشمس، وتتصاعد منه حرارة الأرض والرطوبة ويصبح مثل تنور يغلي! شعرت بالغثيان وصعوبة بالتنفس! وأحسست بدوار وانخفاض ضغط الدم، وفقدت كثيراً من السوائل بسبب التعرق!

سارعت إليّ الرقيبات عند سماعهن طرقات الباب، فوجدنني في غيبوبة فاقدة الوعي! نُقلت على إثرها إلى مستوصف السجن، وتم إسعافي بالمغذي، طلبت المراقبات من المديرة إعفائي من العقوبة لحالتي الصحية، إلا أنّ المديرة اشترطت عليّ أن أعتذر منها.

اخترت المحجر على أن أعتذر، الأمر الذي أغضب المديرة وزاد حنقها، وتكررت حالات هبوط الضغط والإغماء عندي، وهزل جسمي وضعفت قواي، وصرت أشبه بالأموات، لكنني بقيت أرفض الاعتذار!

ساءت حالتي مرة أخرى! مما جعل الإدارة تنقلني إلى المشفى، وخلال نقلي إلى المشفى سمعت جلجلة وأصواتاً اختلط فيها بكاء النساء بصراخ الأطفال! التفتُّ نحو مصدر الصوت الذي اقترب مني شيئاً فشيئاً، فرأيت مشهداً ظل في مخيلتي حياً عبر سنين العمر الطويلة. شاهدت موكباً من الأطفال والنساء سبايا، ساقوهم عنوة من الموصل، حفاة عراة من بيوتهم، مزقت سياط الجلادين ثيابهم، رأيت أفواهاً جائعةً وأجساداً خاويةً، لم تُشبع بطونَها خيراتُ بلادها الكثيرة، كل شيء في هذا الوطن مستباح من شماله إلى جنوبه.

لم تدم مأساتي بهذه الحالة المزرية، فالعناية الإلهية فوق كل ظالم وقوي، إذ جاء أمرُ نقل المديرة بعد إصابتها بمرض خبيث، أضعفها عن تحمل مسؤولياتها، وعدت إلى زميلاتي، وهناك تمضي الأيام بمرّها وعذاباتها، حتى إذا وجدنا أنفسنا أمام مشكلة جديدة لم نعهد أو نسمع بمثلها! إنها مشكلة الأطفال الذين فتحوا عيونهم على الزنازن والسجانين! وأكثر المأساة هو أن تشاهد طفلًا يتمسك بأمه والجلاد يأخذ بها إلى المقصلة!! مشاهد لا توصف ولا يمكن التعبير عنها! كنا نقوم بواجبنا الشرعي والأخلاقي تجاه هؤلاء الأطفال الذين لا أحد لهم سوانا، فصرنا كأمهاتهم اللاتي ولدنهم.

أذكر في أحد المساءات المشوبة بالرهبة والرعب، جاء الجلادون ليأخذوا إحدى السجينات المحكوم عليهن بالإعدام! وكان معها طفل صغير! فبعض النساء يُعتقلن بمعية أطفالهن! ربما ليستعملوهم كأدوات للمساومة وكسب الاعترافات تحت الضغط النفسي! وعندما أرادت الخروج مع الرقيبات خارج القسم تشبث بها طفلها الصغير ابن السنتين والنصف! فكان يبكي وأمه تبكي كذلك! تبكي على طفلها أكثر مما تبكي على نفسها التي ستذوق طعم الإعدام شنقًا بعد دقائق! رغم أنها تعلم جيدًا أننا لن نتخلى عن رعاية طفلها لكنها أم! فمن لم يذق طعم الأمومة لا يستوعب الألم الذي حل بتلك المعتقلة وهي بين عذابين: عذاب وداع طفلها الذي ستتركه في السجن بعيدًا عن أهله وناسه ولن تراه ثانية، وعذاب ما ينتظرها على منصة الإعدام! رغم اطمئنانها أنها مظلومة، وأنها ستؤول إلى رعاية الله وشفاعة أوليائه..

أما أنا فلا أستطيع أن أعبر عن مقدار الألم الذي حل بكينونتي المعذبة أصلا! رحت أحتضن الطفل وأضمه على صدري! وقلبي يكاد ينفطر من هذا المشهد المأساوي! أما المرأة فقد ودعتها بنظرات لا أستطيع أن أترجمها! تبادلنا الوداع بنظرات تفهما القلوب المظلومة، التي ذاقت وبال شراذم خلق الله! وراحت تجر خطواتها وهي تنظر إلى طفلها المودوع في صدري! هو يصرخ وهي تتمتم بكلمات الوداع الأخير..

العزير

بقلم المهندس الاستشاري: تحسين عمارة

الصورة حديثة لنهر دجلة عام ٢٠٠٩ على بعد ٣٥ كم من ملتقاه في نهر الفرات عند القرنة، مع ملاحظة ضيق مجرى النهر مقارنة بمجراه الواسع في بغداد وسبب ذلك التفرعات العديدة التي أخذت من عمود دجلة عبر مسيرته نحو الجنوب.

عند الكوت يتفرع منه نهر الغراف، وعند وصوله إلى مدينة العمارة تتفرع منه مجموعة جداول لتروي المزارع وتصب في الأهوار فعلى الضفة اليمنى من دجلة تتفرع جداول: البتيرة، المجر الصغير، المجر الكبير، أما على الضفة اليسرى فتتفرع منه جداول: الكحلاء، المشرّح، المجرية.

وتسمى المنطقة الظاهرة بالصورة بمقاطعة «السطيح» وتقيم فيها عدة قبائل عربية، وموقع الصورة قرب ناحية العزير، والتي تم استحداثها عام ١٩٥٦، وتبعد عن مدينة العمارة مركز محافظة ميسان ٧٥ كم جنوبا، والعزير مدينة قديمة يعتقد انها بالقرب من موقع مدينة المذار عاصمة مملكة ميسان التاريخية في القرن الثاني قبل الميلاد. والتي فتحها المسلمون ايام عمر بن الخطاب وولى عليها النعمان بن عدي.

وسميت الناحية باسم العزير لوجود مرقده هناك والذي يظهر في الصورة، وعلى عدوة دجلة اليمنى بقبته الزرقاء بالقاشاني الملون، ويبعد القبر عن مرقد عبيد الله بن علي بن ابي طالب عليه السلام بالمذار بحدود ٢٠ كم[١]، كان اليهود يقصدون قبر العزير في مواسم مخصوصة من السنة للزيارة، وكانت سدانة هذا المرقد بيد عشيرة مسلمة تسمى (الكوام) إلى أواخر أيام الحرب العالمية الأولى، ولكن اليهود انتزعوها منهم بقوة ضباط الاحتلال البريطاني ونفوهم فبقيت السدانة بايديهم إلى أن هاجروا إلى فلسطين سنة ١٩٥٠[٢].

وقد اختلف في موضع القبر فذكر الحموي في مادة عورتا «عورتا: كلمة أظنها عبرانية، بفتح أوله وثانيه، وسكون الراء، وتاء مثناة من فوق: بليدة بنواحي نابلس بها قبر العزير النبي، عليه السلام، في مغارة وكذلك قبر يوشع بن نون، عليه السلام، ومفضل ابن عم هارون ويقال بها سبعون نبيا، عليهم السلام».[٣]

ويعود الحموي ليذكر قبر العزير في ميسان «ميسان: بالفتح ثم السكون، وسين مهملة، وآخره نون: اسم كورة واسعة كثيرة القرى والنخل بين البصرة وواسط قصبتها ميسان، وفي هذه الكورة أيضا قرية فيها قبر عزيز النبي، عليه السلام، مشهور معمور يقوم بخدمته اليهود ولهم عليه وقوف وتأتيه النذور وأنا رأيته»[٤].

وفي تفسير العياشي: ذكر جماعة من أهل العلم إن ابن الكوا قال لعلي عليه السلام: يا أمير المؤمنين ما ولد أكبر من أبيه من أهل الدنيا؟ قال: نعم أولئك ولد عزير حيث مر على قرية خربة، وقد جاء من ضيعة له تحته حمار ومعه شنة[٥] فيها تين وكوز فيه عصير، وعندما مر على تلك القرية الخربة فقال: ﴿أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ﴾[٦]، فتوالد ولده وتناسلوا ثم بعث الله إليه فأحياه في المولد الذي أماته فيه فأولئك ولده أكبر من أبيهم[٧].

١ـ مراقد المعارف ـ محمد حرز الدين (ت:١٣٦٥)، حققه محمد حسين حرز الدين، ط ١ مؤسسة الصفاء للمطبوعات ـ بيروت ٢٠١١ ج/٢ ص٦٣ .

٢ـ العراق قديما وحديثا ـ عبد الرزاق الحسني (ت: ١٩٩٧م) ط٧ دار اليقظة ـ بغداد ١٩٨٢ ص١٩٤.

٣ـ معجم البلدان ـ الحموي (ت: ٦٢٦)، دار احياء التراث العربي ـ بيروت لبنان ١٩٧٩ ج/٤ ص ١٦٧.

٤ـ م. ن. ٥/٢٤٢.

٥ـ شنة = قربة.

٦ـ سورة البقرة آية ٢٥٩.

٧ـ تفسير العياشي ــ محمد بن مسعود العياشي (ت: ٣٢٠) تحقيق السيد هاشم المحلاتي، المكتبة العلمية ـ طهران ج/١ ص١٤٨.

تقنياته الحديثة استقطبت كبار الأطباء العراقيين والعرب والأجانب

مستشفى الكفيل التخصصي يحقق نجاح بنسبة (٩٨٪) بـ (٣٨) ألف عملية جراحية

أعلن مستشفى الكفيل التخصصي في كربلاء تحقيقه نجاح بنسبة (٩٨٪) بأكثر من (٣٨) ألف عملية جراحية أجراها أطباء عراقيون وعرب وأجانب، فيما أكد أن تقنياته الطبية الحديثة ساهمت باستقطاب أطباء بخبرات عالية وتحقيق النجاحات.

قال مدير المستشفى، د. جاسم الابراهيمي، في حديث صحفي: «أن المستشفى منذ افتتاحه ولغاية شهر أيار من العام ٢٠١٩ أجرى (٣٨,٢٥٤) عملية جراحية وتنظيرية بمختلف التخصصات الطبية وكانت نسب النجاح فيها عالية إذ بلغت الـ(٩٨,٤٣٪) وهي تضاهي كبرى المستشفيات خارج العراق».

مبيناً، ان تلك العمليات أجراها أطباء عراقيون وعرب وأجانب بتخصصات جراحة القلب والجملة العصبية والدماغ والعظام والمفاصل والجراحة العامة وغيرها، وأن ما حققه المستشفى من نجاح يستحق أن نفخر به وهو جاء بفضل الملاكات الطبية والتمريضية والإدارية العاملة فيه وتقنياته الحديثة التي واكبت التطور الطبي عالمياً.

من جانبه قال مدير قسم العمليات بالمستشفى، د. أسامة عبد الحسن: «إن المستشفى استقطب أطباء عراقيين محليين ومغتربين أكفاء وفرق طبية أجنبية وعربية لديها خبرات ومهارات عالية في مجالات تخصصية مختلفة».

مبيناً: «سجّلنا نجاحات كثيرة بعمليات نوعية ومميزة على مستوى العراق من خلال إستخدام تقنية (الأليزاروف) الخاصة بمعالجة الكسور المعقدة وتطوير وتقويم الأطراف، وجراحة القلب والشرايين لكبار وصغار السن».

وأضاف عبد الحسن، أن نجاحنا بعمليات زراعة الكلى كان مميزاً جداً فضلا عن عمليات إصلاح تشوهات العمود الفقري وإعوجاجه (السكوليوزس)، إضافة الى فتح الدماغ وغيرها كثير.

وأوضح عبد الحسن إلى أن المستشفى لعب دوراً كبيراً في معالجة جرحى الجيش والقوات الامنية والحشد الشعبي الذين شاركوا بمعارك التحرير ضد الإرهاب.

مشيرًا إلى أن عمليات نوعية أجريت للجرحى وأنقذت حياتهم، ووفرنا عليهم معاناة وأجور السفر للعلاج خارج العراق

من جهته قال اختصاصي جراحة الجملة العصبية بالمستشفى الدكتور سامر فيصل، «إن من عوامل نجاح العمليات الجراحية في مستشفى امتلاكه صالات عمليات حديثة جداً من نوع (أوبر ون)، وهي مكنت الأطباء من إجراء العمليات التي لم تكن ممكنة في العراق سابقاً».

مبيناً، أن هذه الصالات مطابقة لمواصفات نظام الجودة العالمية الـ(I.S.O)، واجريت فيها العديد من العمليات النوعية بعيداً عن الجراحة التقليدية التي كانت تعمل على شق واسع من الجزء المستهدف للمعالجة لغرض السيطرة عليه واصبح البديل عنها هو استخدام تقنيات متطورة ومنها الناظور والمكروسكوب والكوزا وغيرها.

وأضاف فيصل، أن تقنيات جراحة الجملة العصبية المتوفرة في هذا المستشفى سهلت إجراء أخطر عمليات فتح الدماغ لرفع الأورام ومعالجة الاجزاء العميقة من الدماغ واورام الغدة النخامية.

منوّهًا إلى أن تقنية (الكوزا) المتوفرة في هذا المستشفى تعمل على سحب الاورام الخبيثة والحميدة دون إحداث أي ضرر بالأنسجة والاعصاب المحيطة به، فيما أسهمت تقنية (المكروسكوب) بإنجاح الكثير من العمليات النوعية بتخصص الجملة العصبية.

تاريخ منع الشعائر الحسينية من العصر المغولي وحتى الثمانينيات

بقلم: باسم الساعدي

لوحة تمثل مجزرة الشيعة في فرنسا بالاتفاق مع الدولة العثمانية التي راح ضحيتها ٤٠ ألف شيعي

تكلمنا في العدد الفائت عن منع الشعائر الحسينية من الزمن الأموي وحتى الزمن السلجوقي، وسنتكلم في هذه الحلقة - إن شاء الله تعالى - عن ما بعد زمن السلاجقة.

الزمن المغولي

بعد أن استطاع هولاكو خان القضاء على الدولة العباسية في بغداد تحولت الخلافة العباسية إلى مصر[١]، تنفس الشيعة الصعداء في البلاد التي يحكمها المغول، بل بعد إسلام هولاكو وتشيع عائلته ورجالات دولته صارت الدولة المغولية مقيمة للشعائر رسميًا[٢]، وعندما تفككت الإمبراطورية المغولية لعدة ممالك كانت كلها شيعية، وكان ملوكها ممن يواظب على إقامة الشعائر[٣].

الزمن التتاري

حكم تيمور لنك التتاري باسم أبناء عمه المغول من ثم استقل بالسلطة وأسس امبراطورية واسعة[٤]، وقد ساعد بانتشار الشعائر الحسينية في انحاء امبراطوريته، فهو الذي نقل فكرة (الهودج) أو ما يسمى عندهم بالتعزية أولتابوت وهو مجسم يختلف حجمة من موكب إلى أخر ويكون على شكل ضريح الإمام الحسين صلوات الله عليه، يحمل في مواكب العزاء في أيام عاشوراء، نقله من كربلاء المقدسة إلى الهند[٥].

الزمن العثماني

انتشرت الممالك الإسلامية في المعمورة، وكانت حدودها ما بين الصين وأوربا، وكان التفاهم هو الغالب بين حكام الممالك، حتى جاء السلطان سليم فترك أوربا، بل عقد معهم اتفاقيات، ووجه جيشه إلى الشرق المسلم، فشن الحرب على الدولة الصفوية الفتية؛ لأنها جاهرت بشعائر المذهب الشيعي الجعفري الاثني عشري، وحارب دولة المماليك في مصر؛ لأن سلطانها ساعد الصفويين، فاخضع مصر لسلطانه وأباد الخلافة العباسية، بعد أن قتل آخر خليفة، وأعلن نفسه أميرًا للمؤمنين، وساهم باسقاط الدولة التيمورية أمام المستعمرين الغربيين، وقمع رعاياه حتى قتل منهم أربعين ألف شيعي[٦]، وحارب كل ما يمت للتشيع بصلة، وعادة الاضطهاد العباسي للتشيع بوجه آخر، واستمر على طول فترة الزمن العثماني، نعم تخللت فترة البطش الطويلة والثقيلة محطات

حافظ الشيعة في تايلند على بلدهم وبفضل تمسكهم بمذهبهم تمكنوا من التخلص من الاحتلال الياباني

١- قد ذكرنا في العدد ١٥٤ من مجلة النجف الأشرف تحول الخلافة العباسية إلى مصر تحت عنوان حقيقة انقراض بني العباس.
٢- تكلمنا عن إسلام المغول في العدد ١٤٠ من مجلة النجف الأشرف في مقالة ترويض الوحوش.
٣- تاريخ النياحة ٢: ٢٤.
٤- قد ذكرنا الفرق بين المغول والتتار في مقالة الأولى من سلسلة مقالات الدولة التيمورية من التأسيس حتى الزوال في العدد ١٥٠ من مجلة النجف الأشرف.
٥- تاريخ النياحة ٢: ٧٧.
٦- مقالة انقراض بني العباس الحلقة الثانية مجلة النجف الأشرف العدد ١٥٥.

قليلة تنفس فيها الشيعة وجاهروا بعقائدهم في زمن بعض سلاطين بني عثمان، لكن الطابع العام هو طابع القتل والمطاردة للشيعة، واستمروا على حالهم من النصب والظلم حتى زالت دولتهم على يد الانجليز[٧]، وسنذكر إن شاء الله في الحلقة القادمة ما فعلوه مع النجفيين أيام محرم الأحزان.

العصر القاجاري

قامت الدولة القاجارية في ايران والمقاطعات التابعة لها ـ وقت ذاك ـ سنة ١٢١٠[٨]، وكان ملوكها شيعة اثني عشرية يحترمون الشعائر الدينية بصورة عامة، ويقدسون العلماء ويستمعون لتوجيهاتهم، نعم فيهم غير متدينين، ومن تأثر بالحضارة الغربية لكنه لم يحارب الشعائر الحسينية، غير أنه عمل على تهوين للشعائر وقد تأثر بعض الشيعة بالدعاية السلبية التي قام بها بعض المحسوبين على المتعلمين نذكرها في العنوان الآتي.

زمن المشروطة

وفي سنة ١٣٢٤ وما بعدها، أي في زمن انتصار ثورة المشروطة (النظام النيابي) أثيرت حرب على كل معالم الدين الإسلامي المقدس، ومن ضمنها الشعائر الحسينية، وقد مهد لها المحفل الماسوني الإيراني الذي تأسس أواخر الدولة القاجارية فإنه استطاع تشكيك الناس بعقائدها وثقافتها حتى انتشر السفور في إيران[٩].

الحرب العالمية الأولى

كانت أهداف الحرب العالمية الأولى المعلنة هي تحرير بني البشر من تسلط الحكومات الظالمة! ونشر مبادئ حقوق الإنسان، والمساواة بين الناس! إلا أنها جرّت الويلات من القتل والفقر والخراب في أنحاء العالم، وما يهمنا هنا هو الظلم الذي لحق الشيعة وخصوصًا منع ومحاربة الشعائر الحسينية.

زمن الاحتلال الإنجليزي

دخل الجيش الإنجليزي بغداد بعد حروب يطول ذكرها[١٠]، وأعلن القائد البريطاني الجنيرال مود أهدافهم من دخول العراق من أنهم يريدون تحرير الشعب العربي والعراقي من ظلم المحتل التركي، فهم محررون وليسوا فاتحين،

٧ـ تاريخ النياحة٢: ٢٤ وما بعدها.
٨ـ أعيان الشيعة٨: ٣٩١.

٩ـ قد تكلمنا عن أحدث المشروطة وما رافقتها من فتن في مقالة عدد ١٦٩ من مجلة النجف الأشرف تحت عنوان المشروطة بين التأسيس والمعارضة، ونظر كذلك: مقالة عدد ١٧٠ من مجلة النجف الأشرف بعنوان فتنة منع الحجاب في إيران.

١٠ـ قد ذكرنا طرفا من أخبار تلك الحروب في مقالة تفاصيل كادت ان تنسى في عدد ١٥٩ و١٦٠ من مجلة النجف الأشرف.

واشاع الانجليز مبادئ التاج البريطاني باحترامه حقوق الإنسان الفردية فضلاً عن الشعوب باسرها، واحترامهم لحرية الأديان والمعتقدات وثقافة الشعوب والبلدان الخاصة، لكن سرعان ما خالفوا عمليًا كل ما أعلنوا عنه، وشنوا حربًا ضروسًا على العشائر العراقية وعلى ثقافتهم باسم التحرر من التخلف، وقد منعوا إقامة الشعائر الحسينية، والوثائق التي تثبت تعدي الانجليز على الحريات في العالم كثيرة وهي ليست محل موضوعنا، وكذلك هي كثيرة في ما يخص منع ومحاربة الشعائر الحسينية، ولا نستطيع التعرض لها في هذه المقالة التي كتبت على عجالة، غير أنا سنكتفي باقتباس من وثيقة مهمة وهي رد شيخ الشريعة الأصفهاني على المنشور الذي كتبه ولسن الحاكم الملكي العام في العراق في ٢٠ آب ١٩٢٠، وقد وزع بالطائرات رغم أنه حمل عنوان رسالة لشيخ الشريعة، قال شيخ الشريعة رادا على فقرات المنشور: «وقد جاء في كتابكم: إن الحكومة الإنجليزية المعظمة قد اعتمدت دائما على الأركان الثلاثة، وهي الرحمة والعدل والتسامح الديني»، فراح الشيخ يرد على الأركان الثلاث حتى قال: «وأما التسامح الديني فهو رمي الطيارات والسيارات المدرعة المساجد، وقتل المتعبدين والنساء والأطفال وتشكيل الإدارة العرفية لمعاقبة من يتصدى الى عقد مجلس لقراءة منقبة النبي صلى الله عليه وآله في المساجد، أو مأتم عزاء الإمام الحسين عليه السلام، إلا بأخذ جواز (باص)، وقطع مراسيم أعياد المسلمين المعتادة وغير ذلك مما لو أردنا شرحه لطال»[11].

١١- ماضي النجف وحاضرها١: ٣٧١.

حرب من نوع آخر

ركزت الدعاية الحكومية لكل من حكم باسم العلمانية أو الإسلام - من غير الشيعة - بعد مصيبة كربلاء سنة ٦١ للهجرة على أن الشعائر الحسينية وسيلة لبث التفرقة وشق عصا المسلمين، وقد أوجدها - الشعائر - الكفرة حتى يسبوا الصحابة علنًا، وبعد انتصار بريطانيا وحلفائها في الحرب العالمية الأولى، صارت الدعاية الرسمية تركز على أن الشعائر الحسينية ضد الحضارة وفيها تعدي على حقوق الإنسان، حتى نشرت صحيفة بريطانية صورة لطفل صغير قد جرح أبوه رأسه وجعلت منها أداة لهجماتها على الشعائر، وقد أخذ هذه الحادثة بعض الروضخونية (روزخون) في البصرة، وشن حربًا على جميع الشعائر الحسينية، وقد تصدى كبار العلماء في ذلك العصر وما بعده

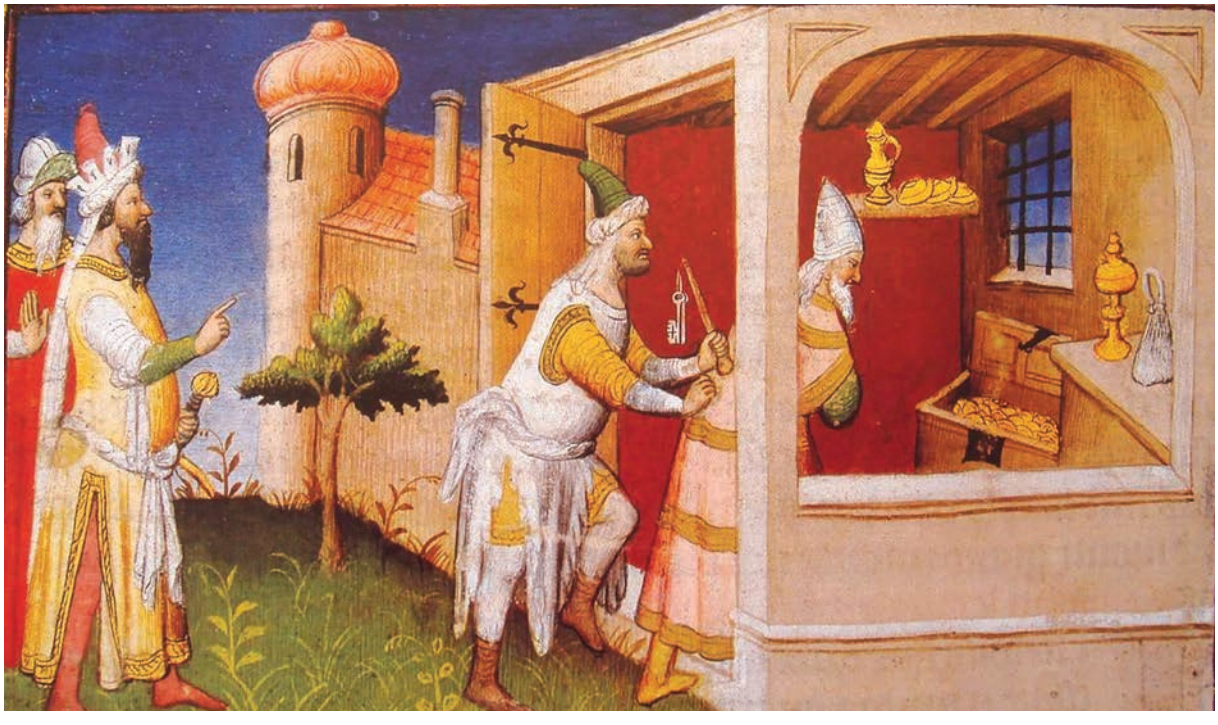

للدفاع عن الشعائر وألفوا الكتب التي بعضهما موجه لعامة الناس وبعض آخر منها كتب على شكل بحث استدلالي وهو موجه للعلماء، وهذا الأسلوب يتكرر بين فينة وأخرى، وكلما أرادت حكومة ما منع الشعائر فإنها تثير الكلام حتى تمهد للمنع بالقوة، وسنتعرض في بعض العناوين القادمة لنماذج منه، وكذلك سنتعرض - إن شاء الله - للفتن التي تثيرها أجهزة الحكومة المختصة بين أرباب العزاء.

وقد ظهر في ذلك الزمن حراك في الشارع الشيعي انقسم أهله إلى فريقين: أحده يقوده كبار علماء المذهب الاثني عشري ومن خلفهم الجمهور الأعظم وهدفه المحافظة على كل جزئيات الشعائر الحسينية، والآخر كان ينادي بإلغاء بعض جزئيات الشعائر؛ لأنها تجر السخرية على الشيعة وقد تطرف اتباع الفريق الآخر حتى وصلت مطالبهم إلى منع نقل جثث الموتى إلى مقبرة وادي سلام في النجف الأشرف بحجة أنها تنشر الأمراض بين النجفيين، وكانوا يستغلون العامة وبعض انصاف المتعلمين و يشنون الغارات على مكاتب الدفن، وقد حصلت بعض المناوشات البسيطة بين الطرفين.

الثورة البلشفية

استطاع الشيوعيون سنة ١٩١٧ من تغيير نظام الحكم في روسيا، والقضاء على القياصرة، وقد رفعوا شعار الحرية للأديان والمعتقدات في بداياتهم حتى أنه جاء في بيان موقع من لينين يحرض فيه الشعوب على حكومة القيصر في ٧كانون الأول ١٩١٧: «ان إمبراطورية السلب والعنف الرأسمالية توشك أن تنهار، والأرض التي تستند عليها أقدام اللصوص الاستعماريين تشعل نارًا، وفي وجه هذه الأحداث الجسام نتجه بأنظارنا إليكم أنتم يا مسلمي روسيا الشرق، أنتم يا من تشقون وتكدحون وعلى الرغم من ذلك تحرمون من كل حق أنتم له أهل، أيها المسلمون في روسيا، أيها التتر على شواطئ الفولجا وفي القرم، أيها الكرغيز والسارتيون في سيبيريا والتركستان، أيها التتر والأتراك في القوقاز، أيها الجبليون في إتحاد القوقاز، أنتم يا من انتهكت حرمات مساجدكم، وقبوركم، واعتدي على عقائدكم وعاداتكم، وداس القياصرة الطغاة الروس على مقدساتكم، ستكون حرية عقائدكم وعاداتكم، وحرية نظمكم القومية ومنظماتكم الثقافية مكفولة لكم منذ اليوم، لا يطغى عليها ولا يعتدي عليها معتد، هبوا إذن فابنوا حياتكم القومية كيف شئتم، فأنتم أحرار لا يحول بينكم وبين ما تشتهون حائل إلى أن قال البيان: أيها الرفاق، أيها الأخوة، لنتقدم سويا في عزم وصلابة نحو سلم عادل ديمقراطي، إن رايتنا تحمل معها الحرية للشعوب المظلومة في أرجاء العالم، أيها المسلمون في روسيا أيها المسلمون في الشرق، إننا ونحن نسير في الطريق الذي يؤدي بالعالم إلى بعث جديد نتطلع إليكم لنلتمس عندكم العطف والعون»[١٢]، لكن ما أن استتب لهم ما يريدون حتى خالفوا ما أعلنوا فقد جاء «في دستور سنة ١٩١٨ نص على أن حرية الدعاية الدينية واللادينية مكفولة للجميع، عدل في سنة ١٩١٩ إلى حرية إقامة الشعائر الدينية وحرية الدعاية اللادينية مكفولتان لجميع المواطنين، وفي دستور سنة ١٩٣٦ (مادة ١٢٤) لكي يستمتع المواطنون بحرية الضمير تفصل الكنيسة في الاتحاد السوفيتي عن الدولة، والمدرسة عن الكنيسة ويكفل لجميع المواطنين حرية الدعوة ضد الدين، وفي المادة ١٢٢ من القانون الجنائي السوفيتي تحريم تلقين الأطفال الأحداث العقائد الدينية في مدارس الحكومة أو المدارس الخاصة أو المعاهد التعليمية المختلفة»[١٣]، وقد منعت جميع الشعائر والايقونات الدينية، وعكف الشيعة في البلدان التي خضعت للحكومة الشيوعية على إقامة الشعائر الحسينية سرًا وفي البيوتات وفي نطاق ضيق جدا[١٤].

الشعائر في بعض البلدان

قد ذكرنا في الحلقة الأولى من مقالتنا هذه نبذة يسيرة من الشواهد على انتشار المذهب الاثني عشري في بعض البلدان بسبب الشعائر الحسينية، وسنذكر خبر ذلك الانتشار عند ذكر كل بلد صار فيه المنع، والشواهد على ذلك كثيرة غير أني سأشير - هنا - لحادثتين سمعتهما شفاها - وسأذكرهما بعنوان فضل العراقيين - أحداهما تؤيد الأخرى:

١٢- أساليب الغزو الفكري: ١٢٧.

١٣- أساليب الغزو الفكري: ١٢٧.

١٤- تاريخ النياحة٢: ٦٩.

فضل العراقيين

نقل لي أحد الفضلاء ـ وهو حفيد مرجع ديني كبير زمن السيد محسن الحكيم ـ يقول أنه حدثه بعض ساسة الايرانيين قائلاً ـ مضمونه ـ: «أن الجمهورية الإسلامية الإيرانية حاولت نشر المذهب الاثني عشري منذ انتصارها في العالم بأسره من خلال إقامة الندوات والمهرجانات وطبع الكتب المختصة حتى تعرف الناس بالتشيع وتجذبهم له، غير أنها لم تفلح، ولكن العراقيين بأيام قلائل استطاعوا تعريف الناس بالتشيع وجذبهم له، وذلك في منتصف عقد التسعينيات بعد أن هاجر العراقيون الذي كانوا لاجئين في إيران منها لأنحاء المعمورة، صاروا في كل شهر محرم يعلنون الحداد، ويظهرون الحزن، ويقيمون الشعائر الحسينية ويبذلون الطعام بشكل عفوي وإمكانات فردية بسيطة فنشروا الدين الإسلامي والمذهب الشيعي في جميع أصقاع الأرض.

القصة الأولى

حدثني بعض الأخوة الكربلائيين وهو يقيم بإيران ما ـ مضمونه ـ: أنه قرأ رسالة موجهة للسيد المدرسي مبعوثة من الإسكيمو من شاب عراقي مغترب، يقول الشاب في رسالته: بأنه حل لاجئا في بعض مناطق الإسكيمو المأهولة: وأنه غير ملتزم دينيا إلى درجة قد تزوج من فتاة وثنية، وفي أول شهر محرم يمر على زواجهما دخلت عليه زوجته فوجدته حزينا مهموما فسألته عن السبب فحدثها عن مصائب كربلاء، فحزنت زوجته واقترحت عليه إقامة مجلس حسيني صغير صغر عائلتهما، يكون هو الخطيب وهي الجمهور، وفعلا أقاما المجلس فسمع أهلها فشاركوهما الحزن على الإمام الحسين صلوات الله عليه، من ثم انضم إليهم أكثر أهل القرية الثلجية، يقول الشاب المغترب برسالته: وقد بنينا حسينية، ودخل أهل القرية الإسلام، وأنا ـ أي الشاب المغترب ـ الآن إمام الحسينية وخطيبها، وأريد طالبا حوزويا يسافر إلينا حتى يتسلم إدارة هذه المجموعة الشيعية البعيدة كل البعد عن موطن الشيعة، نعم قد هداهم الحزن على الإمام الحسين صلوات الله عليه إلى إسلام، وجعل من الشاب المغترب شابا متدينا ومبلغا نشيطا.

القصة الثانية

قد أجابني جناب السيد العمدي، وهو من الفضلاء اليمانيين الاثني عشرية من أصول زيدية، بعد أن سألته عن سبب انتشار الاثني عشرية في اليمن في فترة التسعينيات، قائلا: بفضل المهجرين العراقيين حيث كانوا يقيمون المجالس الحسينية فيتعرف الناس على الاثني عشرية، وروى لي حادثة الشاب العراقي الذي يعمل حلاقًا في اليمن وكيف كان أيام محرم وصفر يشغل اللطميات الحسينية من مكبرة صوت في محل عمله، وكيف كان يبذل الطعام باسم الإمام الحسين صلوات الله عليه حتى قتله الوهابية وهو يطبخ الطعام واختلط دمه الزاكي مع مرق الطبيخ، فرضوان الله عليه وارضاه وحشره مع شهداء الطف.

الشعائر في تايلند

دخل الإسلام تايلند عن طريق التجار العرب في أواخر القرن الثامن وبداية القرن التاسع الهجري عن طريق التجار اليمنين وغيرهم من بلاد المسلمين، ودخلها التشيع في بداية قيام الدولة الصفوية، حيث كانت ترسل المبلغين والعلماء إلى البلدان الأخرى للتباحث مع أصحاب الأديان

والمذاهـب، وكانت التجـارة قائمة بين تايلند وغيرها من البلدان، وقد ذهب له ـ لتايلند ـ طالب علوم دينية اسمه الشيخ أحمد القمـي ـ وكان يعمل في التجارة ويجيـد عـدة لغـات ـ بباخـرة تجارية، وحـط رحاله هـو وأخوه محمـد سعيد في آيوتايـا، واستقر في غربها في منطقة دائـي كـو، واستطـاع الشيـخ التاجر تكويـن علاقات مـع التجـار والأهالي في فـترة وجيـزة، حتى اختـاره التجار التايلنديون كبيرا لجماعتهم، وعن طريق هذا المنصب وطّـد علاقته مع نارسوئن الكبير ملك تايلنـد وقتها ومع خليفته، اكاتـوت سـاروت، وفي فترة ١٦٠٥م إلى ١٦١٥ تـرك الشيخ التجارة وتفرغ لنشـر الإسـلام، وفي تلكـم الأيام عين مديـرًا ومسؤولًا عن شـؤون الأجانب في البـلاد، ثم صـار «الشخص الثاني في وزارة التجـارة الخارجية حتى منحه الملك والبـلاط وسـام **Thya Sheikh Ahmad Rajsethi** وهـو أعلى وسام من البلاط لشخص اجنبي. ومن الجدير بالذكـر أن هذا الوسـام أعطي فيما بعد إلى أحفـاد الشيـخ أيضـا حتـى النسل الثامن»[١٥]، ثم صـار شيخ الإسلام في تايلند وهو أعلـى منصب ديني إسلامي فيهـا، وعنـد فتنـة اليابانيـين في تلـك السنـين استطـاع تخليص المملكة من تغلغلهم حتى رجـع الملك حاكما على عرشـه فـازدادت مكانتـه، وصـار في بعض الأوقات رئيسا للـوزراء كما هو مثبت على شاهدة قبره.

١٥ـ مستدركات أعيان الشيعة٧: ٨١.

منع الشعائر

لم تمنع الشعائر الحسينية في تايلند بالخصوص لكن عطلت جميع شعائر الإسلامية في تايلند بسبب الهجوم البورمي عليها سنة ١٧٦٧م حتى أنهم احرقوا المسجد الذي بناه الشيخ القمي في آيوتايا، (انقطاع تلك البلاد عن العالم الإسلامي وما نالها من الاستعمار الغربي، أضعف الإسلام فيها، حتى لقد تحول المسلمون في بعض البقاع مع الزمن إلى بوذيين)[١٦]، غير أنها عادتو الحمد لله من جديد، يقول السيد محمد سعيد الخلخالي، وهو مبعوث السيد الخوئي رضوان الله عليه لها: «ذكر لي أحد الوجوه الشيعية هناك أن بقاءنا على التمسك بمذهبنا ليس إلا بسبب إقامتنا لمجالس الإمام الحسين بن علي عليهما السلام.. لو لا هذه المجالس لنسينا أننا من المسلمين الشيعة، وأصبحنا من البوذيين»[١٧].

التبت والصين

تقام المجالس الحسينية في التبت والصين بسرية تامة داخل البيوت، وتعطل الأعمال في يومي تاسوعاء وعاشوراء «حيث يجتمع أفراد هذه الأسر الشيعية في دار أحدهم ويلقي عليه خطيب المنبر الحسيني أو أحدهم تفاصيل مجزرة كربلاء.. ويجري في هذه المجالس ما يجري في سائر الأقطار الإسلامية.. من مراسيم العزاء»[١٨]،

١٦ـ مستدركات أعيان الشيعة٧: ٨٢.
١٧ـ مجلة الموسم، العددان ٣٥ و٣٦ لسنة ١٤١٩، صفحة ١٢٧، والمقالة لكاتبها السيد محمد سعيد الخلخالي بعنوان: الشيعة في مملكة تايلند.
١٨ـ تاريخ النياحة٢: ٧١.

ولعل منع الشعائر كان عند السيطرة الشيوعية حيث أنها منعت كل ما يرتبط بالدين.

شبه القارة الهندية

حرص المسلمون في شبه القارة الهندية ـ الهند وبعض البلدان المجاورة لها مثل الباكستان ـ على إقامة الشعائر الحسينية منذ دخول أخبار فاجعة كربلاء لها في أواخر القرن الأول الهجري[١٩]، ولهم في اقامتها طرق كثيرة، وقد تأثر بها غير المسلمين وقلدوها، بل صارت بعض الشعائر الحسينية من طقوسهم لغير المسلمين، وقد حرص على إقامتها وصرف الأموال الطائلة عليها بعض كبار الهندوس، وتعرض لجميع طرق العزاء الحسيني ووصفها في الهند وما حولها من البلدان يحتاج إلى مؤلفات ضخمة، وقد تناولها الكثير من الكتاب بعضهم مستشرقين وقد وصفوها وصفا دقيقا، وإلى الآن الشعائر الحسينية تقام في تلك البلدان ولا زالت محترمة عند الجميع إلا اللهم ما تتعرض له من بعض النواصب بين فترة والأخرى، لكنها في سنة ١٩٢٧ منعت رسميا في قرار من الحكومة في حيدر آباد التي هي الآن عاصمة ولاية تلنقانا في جنوب الهند[٢٠].

بعض بلدان جنوب شرق آسيا

دخل التشيع لتلك الديار التي منها: أندونيسيا والفليبين وسومطرا مع المهاجرين الشيعة من أمثال السادة أبناء السيد علي العريضي ابن الإمام الصادق

١٩ـ تاريخ النياحة٢: ٧٢.
٢٠ـ تاريخ النياحة٢: ٧٩.

صلوات الله عليه، وقد جوبهت الشعائر الحسينية في تلك الديار بالمنع من قبل السلطات لكن حرص الشيعة على اقامتها سرًا غير إنها تلاشت في بعض الأماكن التي منها جزيرة جاوه[٢١].

العصر البهلوي

العصر البهلوي في ايران كان عصرًا قصيرًا نسبيًا و لم يحكم فيه غير مؤسس الدولة البهلوية رضا خان من سنة ١٩٢٥م إلى سنة ١٩٤١، وبعد عزله حكم ابنه محمد رضا بهلوي من سنة ١٩٤١ إلى سنة ١٩٧٩، وهو ثاني ملك بهلوي، وبه ختمت الملكية في إيران، وقد تعرضنا لمنع البهلويين للشعائر الحسينية في مقال علمنة ايران القسرية ولا نعيد[٢٢]، لكن سأذكر حادثة لطيفها سمعتها عن الوجيه علي نادر أحد رجالات عشيرة كنانة بيت سنيد، وهو رجل كبير في السن وله خبرة في الحياة لطيفة، خلاصة الحادثة: أن بعض العربستان ـ أي العشائر العربية الأهوازية في أيران ـ كانوا يقيمون مجلسًا حسينيًا سرًا، فدخل عليهم أحد رجالات الشرطة البهلوية، فراح بعض الحاضرين يقرع أصابعه ـ حركة يفعلها الرجال في جنوب العراق وإيران بأصابعهم مع ضرب القدم في الأرض تعبيرًا عن فرحهم وسرورهم ـ فناده الشرطي: على مهلك أنا جئت أشارككم الحزن وقد تقصيت فترة من الزمن حتى عرفت مكانكم فدعونا نبكي الحسين الشهيد سوية.

٢١ـ تاريخ النياحة٢: ٨٤.
٢٢ـ مقالة عدد ١٧٠ من مجلة النجف الأشرف.

الشيخ عبد الزهراء الكعبي

بقلم: سليم الجبوري

في عام ١٩٥٩م بثت إذاعة الجمهورية العراقية من بغداد المقتل الحسيني بصوت الراحل الخطيب المفوه الشيخ عبد الزهراء الكعبي من أوله إلى آخره خلال ثلاث ساعات، أحدث ضجة في العراق وخارجه، وهي المرة الأولى يتلى المقتل الحسيني من خلال إذاعة رسمية وإن الذي يتلوه خطيب مخضرم يمتاز بحسن الإلقاء وسلامة في الفكر والأداء، استطاع أن ينقل الحادثة الأليمة بصوته الشجي والحزين محافظاً على إيقاع نغمات صوته وأطواره المنوعة، أسلوب لم يعهده الجمهور في قراءة النص الكامل بصورة مختصرة ومطعمة بالشعر الفصيح والشعر الشعبي.

صوت فراتي مؤثر في النفوس يشعرك باللوعة والأسى لمعركة كربلاء الدامية وكأنه المصور لتلك الوقائع والأحداث، وقد أعجبت الجماهير العراقية من كافة الطبقات والشرائح بأسلوبه الساحر الذي يفوح حرارة، وقد اضطرت الإذاعة إعادته أكثر من مرة، كما بادرت إذاعات أخرى نقله سنوياً في إيران والخليج ولبنان وأوربا، وبقي هذا السفر خالد يسجل في تاريخه المشرف، وقد نال إعجاب الكثيرين فكتبوا له أجمل المقالات والقصائد الرائعة، وقد تفرد الكعبي في عرض قصة المقتل ضمن محاور متناسقة محافظاً على وحدة الموضوع.

ولقد تجمعت في براعته مؤهلات خطابية فكان هو الأجدر والأكفأ، ولا يزال ذكر الشيخ الكعبي تردده الأجيال وكأنه الغائب الحي من خلال ما قدمه من عطاء وافر في خدمة المنبر الحسيني، ولقد أجاد وأبدع في عنوان الخطيب الرسالي الهادف إذ جعل من يوم عاشوراء حديثًا شيقًا تتناقله الأجيال من كافة الملل والنحل، من

يطلع على أرباب المقاتل والسير يلاحظ صعوبة في الدراسة والتحليل وتحتاج إلى فكر ناضج لنقل هـذه الواقعة بصورة موضوعية، ومع أنه اعتمر على الذين ساهموا في كتابة المقاتل وكانوا من أهـم مصادر التاريخ الاسلامي، مثل الخـوارزمـي وأبـي مخنف والمقرم وغيرهم، إلاّ أن الشيخ الكعبي أعطى جهداً مهماً في تنسيق الأخبار المتناثرة وهذبها بأسلوبه الشيق وأدائه الجميل ليكون (البلبل الحسيني) الذي كلما غرد فينا جعلنا نشتاق إلى تغريداته، ذلك هو القادر على أهمية المنبر بكل فصاحة وبلاغة.

وللشيخ عبد الـزهـراء الكعبي شهرة واسعة في العراق وخارجه فقد ألقى العديد من المجالس في العراق والبحرين والكويت وإيـران، وهو فارس من فرسان المنبر وأحـد أركانه وأوتاده، نال إعجاب العلماء والأدباء والطبقات الشعبية، وهو ذاك الخطيب الناجح المتألق والمتفوق في فنون الخطابة الحسينية، امتاز بالحنكة والدراية كما وأنّ له ملكة وموهبة مكنته من خوض أهـم مفاصل التاريخ بروحية عالية وهادئة، وعندما يتحدث إليك يجذبك بلباقته وجمالية أسلوبه، وتلاحظ عليه أنه يتحدث من صميم قلبه بلا تصنع أو تركيب، عبارات مسبوكة بصورة بلاغية، بل كان دائماً يتحدث بطريقة يفهمها العالم والإنسان البسيط، قوة الإرادة واضحة في كلامه وخطابه فلا تجده يتلعثم أو يتلكأ وهو من الخطباء الموهوبين البارعين، ساهم طوال حياته

كاتب المقال عند قبر الشيخ الكعبي

ببث فكر أهل البيت عليهم السلام وقيم الانسانية وسعى دوماً في إصلاح المجتمع وتنويره من خلال القرآن الكريم وأحاديث الرسول وآله الكرام (صلوات الله عليهم أجمعين).

ذاب في الإمام الحسين عليه السلام ووفر جل أوقاته من أجل إحياء تراثه التاريخي ونقله للمجتمع من مصادره الحقيقية، إضافة إلى دوره الديني يتمتع بشخصية اجتماعية وتربطه علاقات حميمه من أصناف المجتمع، ولديه شبكة من الروابط مع الأصدقاء عرف عنه بأنه الصديق الوفي لهم في السراء والضراء، وكانت جل حياته مبنية على أساس الحب والإخلاص، ورغم مشاغله في المجالس التي تعقد في كربلاء وباقي المدن إلّا أنه يوفر وقتاً لزيارة أصحابه ليسأل عنهم ويشاركهم في أفراحهم وأحزانهم، وكانت داره في منطقة العباسية تعج بالزائرين من العلماء والأدباء والوجهاء، ويساهم في إصلاح ذات البين ومساعدة المحتاجين ويبذل كل جهوده من أجل قضاء حوائج الناس، وينقل عنه أصدقائه ما جاءه ذو حاجة إلا وسعى في قضائها ولو على حساب راحته، وامتاز بخلق عالٍ وتواضع جم وكانت الترابية منهجه الحقيقي ويمقت الغرور والتكبر ويميل نحو الانسان الهادف الذي يهتم بأمور الناس وقضاء حوائجهم.

هوية الخطيب الرسالي في منهجية الشيخ الكعبي:

شكلت الخطابة عنده معلماً مهماً ورسالة تهدف إلى الإصلاح والتوجيه وبث روح الوعي ومعالجة الأفكار المشوهة بطرق حضارية تشخص الأمراض ثم تؤسس الطريق للعلاج الناجح، واعتبر أن الخطيب الحقيقي هو المعلم والمربي والمرشد الذي لا تأخذه في الحق لومة لائم ولا يساوم على المبادئ والقيم والكرامة، كما نوه بدور الخطيب له صفات تميزه عن باقي الناس في التعاطي والرشد والنصح:

١ـ سداد الموهبة والرأي والاستعداد الفطري سمة بارزة في شخصية الخطيب كما أن أصالة العقل تعتبر المحور الأساسي في طرحه فيحتاج إلى آفاق واسعة تمكنه من خوض القضايا المصيرية وأن يتحلى بالصبر والإرادة والهدوء في عرض أهم المشاكل التي تلاحق الإنسان في حياته، وعندما يحاول مناقشة فكرة معينة يروج لها التاريخ المزيف والذي كتب بأقلام

مأجورة أو وعاظ السلاطين فإنه يحتاج إلى عمق في التفكير والتحليل.

٢ـ سرعة البداهة وهي من الصفات الحميدة إذا وجدت في شخصية الداعية والواعظ والخطيب فتجعل منه عبقرياً ذكياً لوذعياً، وهذه الصفة تنقذه من المواقف المحرجة فعندما يحاول عرض رواية معينة يحتاج إلى شخصية الراوي هل هو من الثقات أم من الذين تلاحقه الشبهات، وكذلك الرواية مسندها معتبر أم لا، وهناك شواهد وقصص تاريخية بحاجة إلى بداهة في نقل ما عنده من أخبار مهمة.

٣ـ الإخلاص والتفاني وقصد العمل الخالص لوجه الله، وأن لا يكون عمله من أجل التباهي حتى يقال فلان يمتاز بذكاء ودهاء، ومما يذكر هنا في هذا الاتجاه أن الشيخ كان من المخلصين لمهنته و لم تغره الدنيا وبقي محافظاً على نهجه وسلوكه حتى آخر أيام حياته وتجسد الإخلاص في خطابه وعطائه وعلاقاته الواسعة.

٤ـ سمو الأخلاق: ركز الشيخ في كثير من مجالسه على التحلي بالأخلاق وبدون أخلاق يفقد الانسان موقعه الحقيقي في المجتمع، فكانت مجالسه تحث الناس على المكونات التربوية والأسرية، ولقد حث تلامذته على هذا التوجيه وأخبرهم أن الأخلاق مصدر رئيس لشخصية الخطيب الناجح.

٥ـ الشجاعة والجرأة جزء من العمل الاصلاحي فيحتاج الانسان إلى قوة وصلابة وأن يبتعد عن مصادر الخوف لكنه يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة وأن جادلهم بالتي هي أحسن.

٦ـ حسن الإلقاء والسمة الابرز في شخصية الخطيب وهو أن يكون إلقاؤه حسناً وجيداً ويمتلك كاريزما في أداء الصوت وجمالية اختيار النصوص وحسن المظهر فانه يؤثر كثيراً في نفوس الناس.

٧ـ الحفاظ على وحدة الموضوع: يطالب بأن يحافظ الخطيب على أن يكون حديثه متسلسلاً ضمن خطة واضحة في المقدمة وأصول البحث والمعالجة لكن أن لا يتهرب من أصل الفكرة حتى لا يبقى المتابع مشوشًا أو في حالة قلق حول المعلومات الواردة.

من هو الشيخ عبد الزهراء الكعبي؟

هو الشيخ عبد الزهراء بن الشيخ فلاح بن الشيخ عباس بن الشيخ وادي الكعبي ينتسب إلى قبيلة كعب والتي ينتهي نسبها إلى كعب بن لؤي بن وائل وقد نزحت الأسرة من المشخاب إلى كربلاء المقدسة.

عندما كان والده ومجموعة من أفراد أسرته يحتفلون بمولد السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام في الخامس عشر من جمادى الأولى عام ١٣٢٧هـ أشرف مولود جديد حاملاً معه بشارة رائعة سماه والده عبد الزهراء تضامناً مع المناسبة، وفي رحاب الأسرة عاش ونشأ وترعرع وغذاه والده من فيض الإيمان، وتجرع الولد الحرمان والجوع ومرارة السجون لكنه استفاد من هذه التجربة فأسس لنفسه مستقبلاً زاهراً، غرس والده في وليده أجمل الاهتمام والعناية في التربية والسلوك ومكارم الأخلاق.

كان والده الشيخ من الشخصيات الصالحة وتربطه بالعلماء علاقة حميمة فكان يصطحب ولده في كل زياراته الدينية والاجتماعية.

لقد نشأ في هذه الأجواء التي تعهدت به أن يكون خطيباً مفوهاً، وعندما لاحظ والده عليه تفرده بالعشق الأدبي وميله نحو التاريخ شجعه على مواصلة السلك الحوزوي، ولقد لمس منه العلاقة الحسينية فصار يواصل معه المسيرة، فكان في صباه قد حدد طريقه واختار طموحه الحسيني وحافظ على هذا النهج، وعندما أصبح في الخامسة عشر من عمره أرسله إلى الكتاتيب الذين يدرسون الدراسة التقليدية وقد حفظ القرآن الكريم في سن مبكرة لأنه كان يحمل موهبة في الحفظ والذكاء، وهذا مما أثار أساتذته، فأبدى الجميع الرغبة إلى احتوائه والاهتمام به.. وكان أول أستاذ له هو الشيخ محمد السراج في الصحن الحسيني، ثم تنقل في صفوف الدراسة الدينية وكان لديه أساتذة من طلائع العلماء فدرس على الشيخ علي الرماحي الفقه وأصوله وعند العلامة الشيخ محمد الخطيب والشيخ جعفر الرشتي ودرس العروض عند الشيخ عبد الحسين الحويزي، وأما في الخطابة الحسينية فقد واكب الشيخ محمد مهدي المازندراني والشيخ محسن أبو الحب وكان من أبرز تلامذتهم المتفوقين.

مدرسة
العلامة الخطيب الدينية
كربلاء
تلفون (٧٠)
الى ـ وزارة الارشاد
العدد ٧١٢
التاريخ ٢/٥/١٩٦٤
بغداد
الملحقة صورتـه اعلاه (الشيخ عبد الزهرة الشيخ فلاح) تـولد ١٩١٤ بعد ان اجتاز مراحل الدراسة المحددة في النظام بتفوق تام لا زم البحوث الخارجية للدراسات العليا وانهى القسم الاكبر منها درسا وتدريسا في المدرسة وهو حاليـا يمارس الوعظ والارشاد في الخارج بحوزة تـه موالى اتقـد ير والا عجاب . ولله در ناه بهذه الشهادة تحريرا في ٢/٥/١٩٦٤ .
عبد الحسين الخطيب
مدير المدرسة

الكعبي في عيون معاصريه

السيد كاظم محمد النقيب:

«وعرفت الكعبي خطيباً مفوهاً ومتكلماً لامعاً ينفعل بما يقول كأنه يخرج كلامه ممزوجاً بعصارة قلبه، ولهذا كان لقوله تأثير كبير في نفوس مستمعيه لأنه ما يخرج من القلب يقع في القلب، ينشر الفضيلة بين النفوس ويدعو إلى الإصلاح والتمسك بالقيم الإنسانية الرفيعة، وينهى عن الفرقة والإختلاف، ويبث العلم والمعرفة بين سائر طبقات الأمة، ويحث على الالتزام بمكارم الأخلاق والتحلي بالصفات الحسنة وينهى عن كل ما يشين الانسانية من الرذائل والعادات السيئة، ويجهد نفسه على ذكر الأخبار الصحيحة والتاريخ المعتبر ويتجنب ذكر الأخبار التي لم يتثبت من صحتها.

كانت مجالسه كثيرة ينتقل من مجلس إلى آخر دون أن يكرر ما قاله، يتصرف بالكلام ويحلل الأخبار ويستخلص النتائج.

وقد ساعد الكعبي على تكوين شخصيته المنبرية الفريدة صوته الرخيم وحفظه الكثير وسرعة بديهيته وانتقاله من موضوع إلى آخر يربط بينها بذكاء خارق ويعود إلى أصل موضوعه بعد أن يشد المستمعين إليه بأسلوب نادر، يكثر من ذكر الأمثلة لتوضيح أفكاره ويتبسط بتذليل المعلومات المعقدة متبعاً في ذلك الأسلوب القرآني في ضرب الأمثال وتقريب المعاني إلى الأذهان.

يتكلم الفصحى بطلاقة ويعرب ما يقوله دون تكلف أو تلكّؤ، وكان يتثبت من نطق الكلمة، ويراجع من أجل ذلك المطولات والمصادر المختلفة ولا يلقي القول على عواهنه.»

الشيخ محمد علي داعي الحق:

«بعدها توطدت صلتي بالمرحوم الكعبي (أبي علي) لما كان عليه من خلق كريم وتواضع جم وجاذبية روحية تجذب الناس إليه إنجذاباً، فكيف بنا ونحن أبناء جلدة واحدة وصحبة واحدة هكذا انجذبت إليه ـ كما الآلاف من أبناء ورجال المدينة ومفكريها ـ واشتقت إلى لقائه وحضور مجالسه، أستفيد وأكتسب الآداب والمعارف والأساليب البلاغية وأنماط المحاورة مع الناس العاديين وغيرهم، خارج حلبة القراءة والوعظ والتوجيه الديني من فوق منصة المنبر الحسيني النيّر.

فمجالس الشيخ عبد الزهراء الكعبي رحمه الله لا تخلو من نكتة سانحة، وبلاغة رائعة ونقاش علمي ومطارحات شعرية، ومحاورات أدبية، ونقاش تاريخي ونقد في مجالات المعرفة والفنون، كانت تفيض بالنفع الكبير على المجتمعين الملتفين من حوله، وكانت تلك المجالس مصداقاً حقيقياً لتلك التي رويت عن الإمام المعصوم عليه السلام حين قال لأحد أصحابه (فضيل): (يا فضيل أتجلسون وتتحدثون ؟ فقال نعم سيدي، قال عليه السلام: إني والله لَتلكَ المجالس أحبها، فأحيوا أمرنا..). هكذا هو النور يملأ الآفاق سنىً وضياءً. هكذا هي رائحة المسك والعبير، تنثر الأنسام، وتملأ الخياشيم، وتفرح القلوب وتغمرها عطراً ونقاءً، زهواً وصفاءً. فيا أيتها الذكريات الخوالد، ويا أيتها الأيام المنصرمة، هل لك أن تسبغي عليها لحظة من تلك اللحظات، علَّ النفس العليلة تجد شفاء لكمدها ودواءً ناجعاً لسقمها وجراحاتها الكثر.»

حمزة أبو العرب:

«عرفتُ الراحل المغفور له الشيخ عبد الزهراء الكعبي رحمه الله في أوائل الخمسينيات من هذا القرن الذي لم يبق منه إلا أقلّه (١٩٩٣م) يوم كانت

المجالس الحسينية تنتشر في ربوع (كربلاء) فتقام في ساحاتها وشوارعها، في أزقتها وبيوتها، تبكي حسيناً، ريحانة المصطفى، وسبطه المحبوب، فتستذكر ـ بها ـ نهضته من أجل الإصلاح وتحقيق العدل، وإقامته في الأمة (إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر).

كان الفقيد رحمه الله من أبرز قراء تلك المجالس الذين يشار إليهم بالبنان حيث أمسى يديرها أحسن إدارة، بما كان يلقيه فيها من وعظ وإرشاد، مستهدياً بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، مستنيراً في شروحه وتعليقاته بمبادئ أهل البيت عليهم السلام لا ينسى ما للتاريخ الإسلامي من حوادث غريبة مثيرة كان المسلمون يقفون منها مفترق الطرق حيث أصبح بعضهم مثالاً مروعاً في التغير والتلون، يلبس لكل حالة لبوسها، غير عابئ بما يتطلبه الواجب الحق.»

سلمان هادي آل طعمة:

«لعلي لا أبالغ عندما أقول أن الشيخ عبد الزهراء الكعبي صاحب رسالة هادفة وأن مجلسه مدرسة سيّارة تهتم بشؤون الفكر والثقافة والعلم والدين، وجسر للتواصل بين أفراد المجتمع في الأمة الاسلامية المترامية الأطراف.

لقد ظل هذا الصوت الهادر يدوّي عبر تصرّم الأعوام، بارزاً في مسيرة الخطابة رغم التغييرات التي شهدها العراق والعالم العربي والإسلامي، وقد

لعب دوراً كبيراً في إثراء الفكر والعقل، وناقش كافة القضايا التي تتعلق بهموم العرب والمسلمين، وكانت مسؤولية هذا الصرح الثقافي بالنسبة للجميع مهمة جليلة مقدسة، ودوراً مهماً يجب استمراره وتطويره استكمالاً لما بدأه الرواد الكبار أشياخ العلم وأعمدة الأدب وأساطين اللغة وفحولة الشعر من أمثال السيد حسن الاسترابادي والسيد جوادي الهندي والشيخ محسن أبو الحب، مما كان لهم من أثر عظيم في النهضة الثقافية المعاصرة، وسيتضح للمعنيين أن هذا الرجل ما كان يألو جهداً في سبيل النهوض بالأعباء والمهام المطلوبة منه وتحقيق ما يتطلبه الشرع في نطاق أشمل وحدود أوسع مما كان عليه متوسلاً إلى أداء رسالته على أتم وجه.»

أعمال
آرثر كونان دويل

بقلم: عدنان الياسري

الكاتب :

ولادته

ولـد «آرثـر كونان دويل» في اسكتلندا في مايـو عام ١٨٥٩ لأب انجليزي وأم أيرلنديـة، أرتاد في سنوات مراهقته مدارس كاثوليكيه أرسله والداه إليها، لكن في سن السادسة عشر غادر الفتى هذه المدارس وأعلـن ارتداده عن العقيـدة المسيحية ليصبح غنوصيًـا، التحق بكلية الطب بجامعـة «إدينبيرج» تكفل عـدد من أثرياء العائلة بتكاليف دراسته في إنكلترا، وبـدأ دراسة الطب في أدنبره في العام ١٨٧٦، وخلال الدراسـة، عرض عليه منصب جراح علـى سفينة «هوب» لصيد الحيتان، التجربـة التي ظهرت في قصة «كابتن نجم القطب» بعد ذلك.

حصـل على البكالوريوس والماجستير في الجراحة، ثم درس طب العيون في فيينا ومنهـا عاد إلى لندن، في العام ١٨٩٠، أسس عيادة خاصة لكنهـا لم تنجح، وكتب في سيرته الذاتيـة، « لم يعبر مريض واحد باب عيادتي»، لكن مع الوقت تحول فشله الطبي إلى مكسب للأدب.

بين الأدب البوليسي وأدب الخيال العلمي

أنتقـل إلى مدينـة بورتسماوث حيـث أقام في منزل في شـارع إلم جروف متخذًا من أحد غرفها عيادة له، وكأي طبيب مبتدئ عانى من عدم إقبال المرضى عليـه، وبدأ أثناء فـترة فراغه في انتظار المرضى يكتـب أول رواياته الطويلة وهي روايـة : «دراسة في اللون القرمزي» وهي أول رواية يظهر فيها شخصيته الشهيرة «شرلوك هولمز». نشرت الرواية في أحد الصحف المحلية في عام ١٨٨٧، وحققت نجاحًـا منقطع النظـير جعل الناشرين يتوافدون على «دويـل» لطبعها في كتاب وقد أنجـذب القراء إلى شخصية «شرلوك هولمز» المحقـق العبقري الذي يستخدم أحدث التقنيات العلمية لفحص الأدلـة وتفسيرها والوصول إلى الجناة وقد لاحظ الكثيرون التشابـه بين شخصية «شرلوك هولمز» وشخصية «جوزيف بل» أستاذ «دويل» السابق

في الجامعة، وقد صرح «دويل» فيما بعد أنه بالفعل استوحى شخصية بطله من أستاذه السابق في الجامعة.

تتابعت فيما بعد روايات وقصص «دويل» التي تدور حول مغامرات «شرلوك هولمز» وإلى جانب هذه الشخصية أبتكر «آرثر كونان دويل» شخصية أخرى هي الأستاذ «تشالنجر» وجعل «دويل» من «تشالنجر» بطل لسلسلة من روايات الخيال العلمي المثيرة التي بدأت برواية العالم المفقود التي نشرها عام ١٩١٢. كان «تشالنجر» شخصية مغايرة تماما لشخصية «هولمز»، فالأول شخصية عصبية وعدوانية أما الثاني فهو شخص مهذب ومحبوب، لكن ما يجمع بين الشخصيتين كان إيمانهما الشديد بالمنجزات العلمية وهو ما كان يعجز إيمان «آرثر كونان دويل» نفسه.

أعمال أخرى

لم تقتصر أعمال دويل الأدبية على مغامرات «شرلوك هولمز وتشالنجر»، بل تعداها إلى الروايات التاريخية مثل «رواية اللاجئ»، و«سير نيجل» وكان «دويل» يعتبر رواياته التاريخية أهم قيمة من رواياته الأخرى، الأمر الذي لم يشاركه نقاده ولا قراؤه فيه.

وفاته

توفى «أرثر كونان دويل» عام ١٩٣٠ عن عمر ناهز الواحد والسبعين عاما نتيجة أزمة قلبية أصابته. ودفن في كنيسة مينستيد في بلدة نيو فورست في هامبشير. ويستطيع الزائر اليوم أن يقرأ على شاهد قبره العبارات التالية «الحقيقة الصلبة والسيف المستقيم .. أرثر كونان دويل .. وطني وطبيب ومن رجال الحروف..».

وصف الاعمال

هي: قصص الفانتازيا والخيال العلمي و القصص البوليسية، مع ٤ روايات كبيرة ونحو ٥٠ قصة قصيرة، من إبداع الطبيب الأسكتلندي آرثر كونان ديل.

بالرغم من غزارة انتاجه وتنوع أعماله، بداية من نشر أول قصة له في العام ١٨٧٩، بين الخيال العلمي والمسرحيات والكتابات التاريخية والشعر، اشتهر بروايات «شيرلوك هولمز» التي تعد أشهر ما كتب في أدب الجريمة، وهو الشخصية التي دخلت موسوعة «غينيس» بوصفها الأكثر تجسيدا أو ظهورا في الأعمال الفنية، لذلك تعتبر شخصية «شيرلوك هولمز» هي الأساس الذي بني عليه الرواية

البوليسية في القرن العشرين، فرسم شخصية «هولمز» أصبح مصدرا للإلهام لمؤلفي الروايات البوليسية، فالجريمة يمكن أن يفسرها المحقق إذا أعمل فكره وجمع الأدلة المتاحة واستنطقها بصورة سليمة، والمحقق يجب أن يستخدم يديه وأسلحته بنفس الكفاءة التي يستخدم بها عقله هذه هي الملامح العامة لبطل الرواية البوليسية كما صاغاها «دويل» في شخصيته العبقرية «هولمز». ونادرًا من أستطاع مباراة نجاح «دويل» في اختلاق «هولمز» وعالمه من بين كتاب روايات الجريمة، «فهلومز» كان النموذج الأول الأصلي والآخرون نسجوا على منواله.

تعد «قصص المحقق» شرلوك هولمز معلمًا بارزًا في الأدب البوليسي، فقد قام «دويل» بتأليف أكثر من ٦٠ قصة حول مغامرات «شارلوك هولمز» أسرت القراء ونقلتهم إلى عالم مليء بالغموض والألغاز، وألف العديد من الكتب الأخرى من كتب خيالية وخيال علمي إضافة لكونه شاعرًا. كما نشر العديد من الروايات التاريخية وخلق شخصية خيالية أخرى تدعى البروفيسور«تشالنجر» وكتب سلسلة من الروايات تستند إليه.

من أقواله

- الحياةُ أكثر غرابةً إلى أقصى حد من أي شيءٍ يُمكن أن يتخيله العقل البشري.
- إن حُب الكُتب والقراءة من بين أعظم النِّعَم والعطايا من الله لنا.

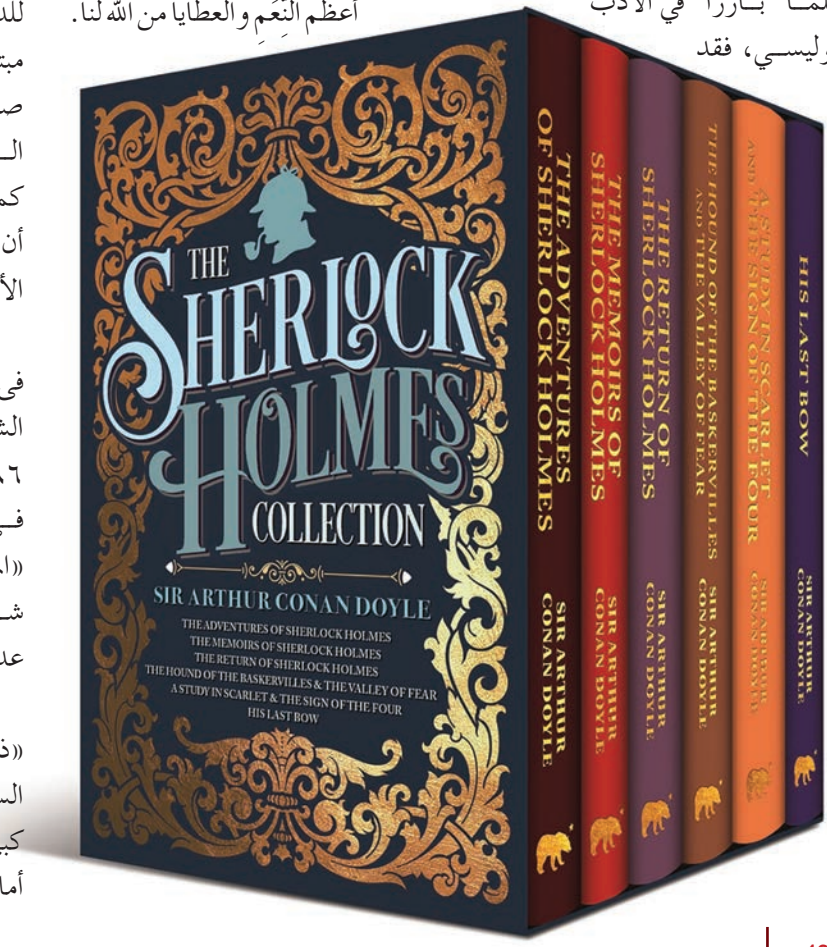

هل غار آرثر كونان دويل حقا من شارلوك هولمز فقتله؟

«من الحب ما قتل»، ربما تكون تلك الجملة منطبقة تماما لما حدث للشخصية الخيالية ومبدعها «كونان دويل»، الذى قرر أن يتخلص من «هولمز»، لكن كيف ذلك؟ وهل يمكن لروائى أن يكره شخصيته التى ابتكرها بنفسه؟

فآرثر كونان دويل، رأى أن «هولمز» استنفذ طاقاته الأدبية.

لكن لماذا كان دويل يكره شيرلوك هولمز؟: «لأنه أخذ معه أفضل ما في ذهني» هكذا كان جواب المؤلف الإسكتلندى عن كرهه لشخصيته، وبحسب ما جاء فى كتاب «المكتب» للدكتور قصى الشيخ عسكر، فإن ابنة مبتكر شخصية هولمز قالت فى حديث صحفي: «إن والدها كان يكره النجاح الذى حققه هولمز وفاق نجاحه هو كمؤلف ومبتكر للشخصية الفذة، حتى أن الناس ارتبطوا بهولمز ونسوا المؤلف الأصلي».

موقف الجمهور كان له أثر بالغ فى نفسية المؤلف، فقرر قتل شخصيته الشهيرة التى قدمها لأول مرة عام ١٨٨٦،بعد سبع سنوات وبالتحديد فى ديسمبر عام ١٨٩٣، فى قصة «المشكلة الأخيرة» بإسقاطه فى شلالات ريشنباخ خلال شجار مع عدوه البروفيسور موريرتى.

قصص «كانون» كانت تنشرها مجلة «ذا ستراند»، والتي ما إن نشرت القصة السابق ذكرها، حتى تعرضت لهجوم كبير، بل أن الأمر وصل لتظاهر الآلاف أمام مبنى مكاتب المجلة البريطانية وألغى

أكثر من ٢٠ ألف قارئ اشتراكاتهم فيها بعد هذا الموت المفاجئ، وبحسب ما قالته الكاتبة «هنادى الديرى» إن كونان أراد التخلص من هولمز لكن الغضب كان أكبر من رغبته فاستمر فى الكتابة، بعدما أعاده للحياة فى قصة «مغامرة المنزل الخالى» التى نشرت عام ١٩٠٣، واستمر فى كرهه للشخصية الأسيرة.

اقتباس من رواية لغز الطرد البريدي

الآنسة سوزان كوشينغ من كوريدون «بلدة في جنوب لندن» تستقبل طردا عن طريق البريد يحتوي على اذنين بشريتين محفوظتان بواسطة ملح خشن. المفتش ليستراد من سكوتلاند يارد يشك في أن الأمر عبارة عن مزحة من ثلاثة طلاب يدرسون الطب قامت الآنسة كوشينغ بإجبارهم على مغادرة السكن، وما يزيد من اقتناعه بفرضيته أن الطرد كان مرسلًا من بلفاست، مسقط رأس أحد الطلاب. بعد أن يقوم هولمز بفحص الطرد بنفسه يقتنع أن له علاقة بجريمة خطيرة وليس مجرد مزحة من الطلاب الثلاثة، لأنه لو كان فعلا طالب طب هو من قام بإرساله لكان استعمل شيئًا آخر لحفظ الأذنين بدل الملح الخشن، وأيضا كان ليقوم بقطع الاذنين بشكل أفضل، كما أن طريقة كتابة العنوان على الطرد تجعل هولمز يشير إلى أن من أرسل الرسالة ذو مستوى علمي ضعيف وأنه لا يعرف بلدة كوريدون جيدا. يطلب هولمز من ليستراد عدم الافصاح بأن له علاقة بالقضية، مواصلا تحقيقاته بطرح اسئلة على الآنسة كوشينغ، فقام برحلة إلى ليفربول وزيارة أخت الانسة كوشينغ، «سارة»، التي يمنع الدكتور هولمز من زيارتها لأنها تعاني من التهاب الدماغ، فيقتنع هولمز بعد ذلك أن الأذنين تعودان إلى أخت الآنسة كوشينغ الأخرى «ماري» وعشيقها وأنه تم قتلهما وأن زوج ماري، جيم برونر، هو القاتل. برونر قام بإرسال الصندوق الذي يحتوي الأذنين إلى منزل عائلة كوشينغ لكنه كتب في العنوان س.كوشينغ فقط، حيث كان المرسل اليه الحقيقي سارة وليس سوزان، لكن برونر لم يكن يعلم أن سارة لم تعد تقيم في ذلك المنزل، وسبب فعلته هو إخافة سارة لأنه يعتقد أنها كانت السبب في تأجيج الخلاف مع زوجته ماري ما جعله يقوم بقتلها وحبيبها، حيث حاولت سارة إغراء زوج اختها برونر وعندما لم يستجب لإغراءاتها عملت على تدمير زواج أختها منه...

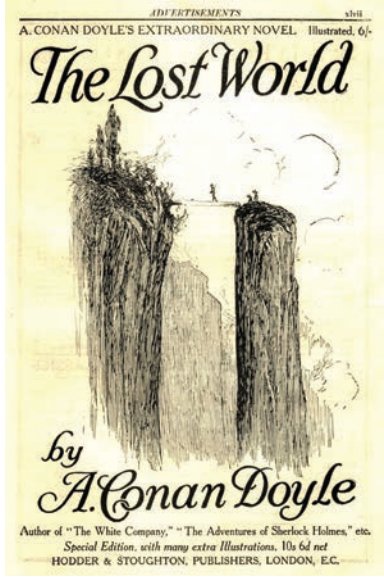

قيل فيه

قيل: رائد تستحق أعماله الدراسة.

وقيل ايضا : أن «آرثر كونان دويل» هو من أجل كتاب الإنجليزية في زمنه، وأن إنجازاته في حقل الرواية البوليسية ورواية الخيال العلمي ترتقي به إلى مرتبة الرواد. كما أن روايته لا تزال غضة ومشوقة حتى اليوم، وتعتبر من أهم الكلاسيكيات التي يعكف على قراءتها الهواة والأدباء الجدد، كما أن كتابته تعتبر اهم الانجازات الأدبية الإنجليزية البسيطة والقوية.

الكناية

بقلم: عبد علي الساعدي

الكنايــة هي من الأساليب الممتعــة في الحــوار، وهي ـ مــع التسامح: إطــلاق لفظ يــراد به معنى غــير المفهوم منــه أولا[1]، وهــي ليســت حكرًا على الــكلام الفصيح، فاللهجة الدارجة فيها الكثير من الكنايــات، بل ما يسمى بـ(الحسجــة) هو فــن يقابل البلاغــة، ويجمــع أقسامها الثلاث مــن المعــاني والبيان والبديــع، ومــا نريــد ذكره هنا مجموعة مــن الكنايات قد باتــت اليوم منسية، ولن يفهمها حتى شباب الأرياف والبــوادي، فضلاً عــن أهل المدن والحواضر.

منها: (يعبر بيه الـژاون –الجاون– گطف)، وتطلق هــذه الكناية على كل شخص يسهــل خداعــة، أي أن عقله خال ويصدق بــكل شيء، ومن السهل خداعة.

شرح المفردات

الجــاون (ويلفــظ بالجيــم الشاميــة أو باليــاء في لهجــات أخــرى) هو أداة مصنوعــة مــن جــذوع النخيــل لــدق الحبوب حتى ينعزل عنها قشرها الرقيق- لأن جذع النخلة متكون من ألياف فهو لا يطحن الحبــوب عند دقها به، عكس الأشجار الأخرى الصلبة، وعملية الدق تسمى (ركشــ)، والأداة التي تدق بها الحبــوب في بطــن (الــجــاون) تسمــى (ميجنة) وهي عمود متخذ من الأشجار

١ـ الكنايــة: لفظ أريد به لازم معناه، مع جواز إرادة معناه حينئــذ، كقولك: فــلان طويل النجــاد أي طويل القامة، وفلانة نــؤوم الضحى أي مرفهة مخدومــة غير محتاجة إلى السعــي بنفسها في إصلاح المهمــات، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع ٣٣٠.

الصلبة والثقيلة نسبيًا، والقشر الرقيق المعزول عن الحبوب يسمى (سحالة): وهي دقيق أحمر يستخدم عادة علف حيواني. والـ(گطف) هو الرمي.

توضيح الكناية

والمعنى أن الشخص الذي يسهل خداعة قد مرت عليه الخديعة من غير عناء كما أن الجاون –وهو كبير نسبيًا– حين ترميه في فضاء واسع فإنه يعبره بسهولة ومن غير أي إعاقة للرمية أو تأخير لحركته.

ومنها: فلان محزم: أي يحمل سلاحًا بحزامه، ويسمى المسدس (حزام)، وكذلك تطلق على الشخص المستعد دائمًا. ومنها: فلان على رجل الرمي: أي أنه دائمًا مستعد مثل الشخص المتخذ وضعية إطلاق النار ومستعد له.

ومنها: فلان عاشگ (عاشق): أي أنه مستعد للتضحية وقضاء الحوائج مثل العاشق المستعد للتضحية من أجل معشوقته.

ومنها: فلان يستحي: أي أنه شديد الحياء ويفعل أي شيء حتى لا يحرج، أو تتلطخ سمعته، ومنه الحكاية التراثية التي سمعتها من أبي وصديقه جاسم الجابر ـ رحمهما الله ـ ومفادها: إن شخصًا سأل صاحبه عن شخص معهود بينهما، (شلونه بالعزايم)، أي كيف هو عند دعوته لوليمة، أو عندما يحل عنده ضيف، فقال المسؤول: (يستحي)، فسأل: (وشلونه بالفزعة)، أي كيف هو عند القتال، فرد عليه صاحبه: (يستحي)، فسأل: (شلونه بالديوان)، أي كيف تصرفه إن جلس مع الرجال، فأجاب: (يستحي)، فسأل: (شلونه من تنخاه)، أي كيف هو إن احتجت معونته، فرد المسؤول: (يستحي)، وهكذا يستمر السؤال عن صفات الرجولة عند أبناء العشائر، ويرد المسؤول بجواب واحد وهو (يستحي)، وكان شخصًا ثالثًا قريبًا منهما ويسمع حديثهما، فتدخل مستنكرًا على المجيب بأنه أساء كثيرًا للشخص و لم يحفظ غيبته، فرد أحدهما على المستنكر: على العكس، بل رفع من شأنه، حيث الحياء عند الولائم يجعل من الشخص يأكل قدر حاجته فقط من غير إفراط، وإن حل عليه ضيوف فإنه يكثر الأكل لهم، وعند القتال يخجل من أن يعيره القوم فيبذل جهده ولن يفر، ومن هو شديد الحياء لن يتكلم بالفضول في المجالس العامة ويراعي أدبها، وسيسعى بقضاء حاجة المحتاج؛ لأنه يخجل من رد سائله، وهكذا بقية الحكاية.

أسئلة يجيب عنها بعض أساتذة الحوزة العلمية في النجف الأشرف

ملحوظة: الأجوبة وفق فتاوى المرجع الديني الأعلى

السيد علي الحسيني السيستاني (دام ظله)

السؤال:

شخص أنشأ حسينية على أرض تابعة لأمانة بغداد بدون موافقات رسمية فيسأل أهل المنطقة عن الصلاة في الحسينية هل جائزة أو لا؟

الجواب:

الصلاة صحيحة، ولكن لا تكون وقفًا، بل تبقى على ما كانت عليه ملكًا للأمانة.

السؤال:

بعض العوائل تقوم بإرسال الطحين إلى المخابز و يقوم المخبز بخلط الطحين ويدفع المخبز الخبز إلى العوائل على مدار الأسبوع أو الشهر مقابل أجرة متفق عليها، ما حكم ذلك؟

الجواب:

إذا كان صاحب المخبز يأخذ أجرة عمله فقط ويعطيهم خبزًا قدر الطحين الذي أعطوه فلا بأس بالاختلاط إن تم بإذن أصحابه كما هو المعلوم.

السؤال:

ما حكم من يدفع مبلغًا من المال لغرض العمل في وظيفه لدى الدولة مع العلم أنه مستحق لهذه الوظيفة. فهل هي رشوة أم ماذا؟

الجواب:

لا ترخيص بذلك، ولا يجوز للموظف استلام أموال كهذه.

السؤال:

ورد في المنهاج أنّ على المرأة التستر من الصبي قبل البلوغ إذا كان رؤيتها بلا ستر يوجب هيجان الشهوة، فهل هذه ضابطة تفسر معنى الصبي المميز أم أنها فترة بعد التمييز وقبل البلوغ؟

الجواب:

يقصد بالصبي المميز غير البالغ الذي يدرك الشيء ويعقله ويختلف ذلك بحسب اختلاف الموارد فالمميز في كل مورد بحسبه فالمميز للصلاة من يعقل الصلاة ويعرف أنها عبادة ويميزها

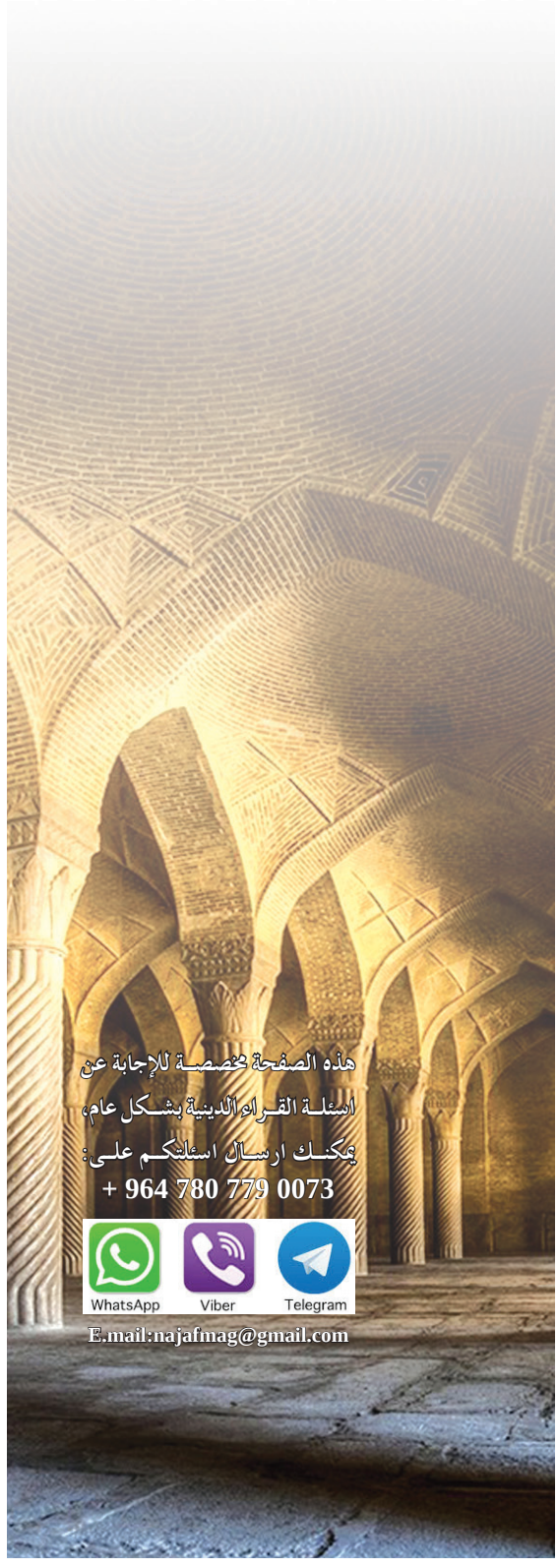

عـن الحـركات والاقـوال المشابهة لها والمميـز في البيع من يعـرف أنه معاملة تعني المبادلة بـين المالين وهكذا، وهذه ضابطة التمييز في الطفل.

السؤال:

امـرأة غاب عنهـا زوجهـا أو فقد، وبعد مضي اكثر مـن أربع سنوات على فقـده تزوجـت بـدون الاستئـذان من الحاكم الشرعي وبـدون طلاق شرعي، ثـم حضـر زوجهـا الأول، فهل يجب عليهـا فراق الثـاني والعـودة إلى الأول بعد الاعتداد من الثـاني؟ ثم ماذا يكون حكمهـا لـو كان زواجهـا الثـاني بعد طـلاق شرعي، لكـن بـدون الإذن من الحاكم الشرعي؟

الجواب:

زواجهـا مـن الثـاني باطـل علـى التقديريـن، وتحـرم عليـه مؤبـدًا مـع الدخـول علـى الأحـوط، وتعـود إلى الأول بعد الاعتداد من الثاني.

السؤال:

مـا حكـم مـن أخـذ أمـوالًا مـن الممتلـكات العامة للدوائر الحكومية في زمـن الطاغية هـل تعتبر مجهولـة المالك ويتصـدق بهـا أم يسلمهـا إلى الحاكـم الشرعي؟

الجواب:

يردهـا إلى الدائـرة نفسهـا، فـإن لم يتمكـن أو لم تتعـين الدائـرة المذكورة، تصدق به على الفقير المتدين.

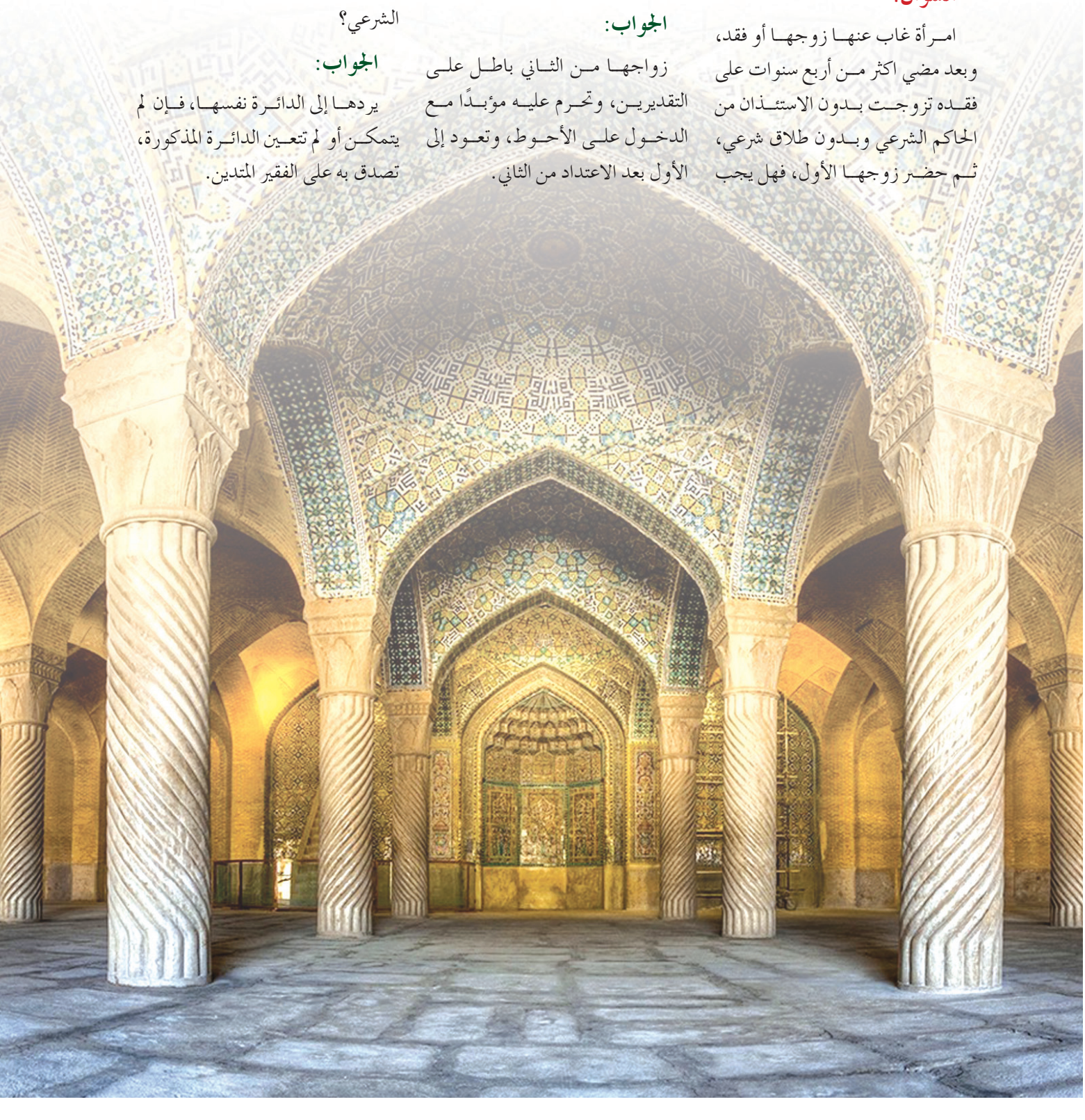

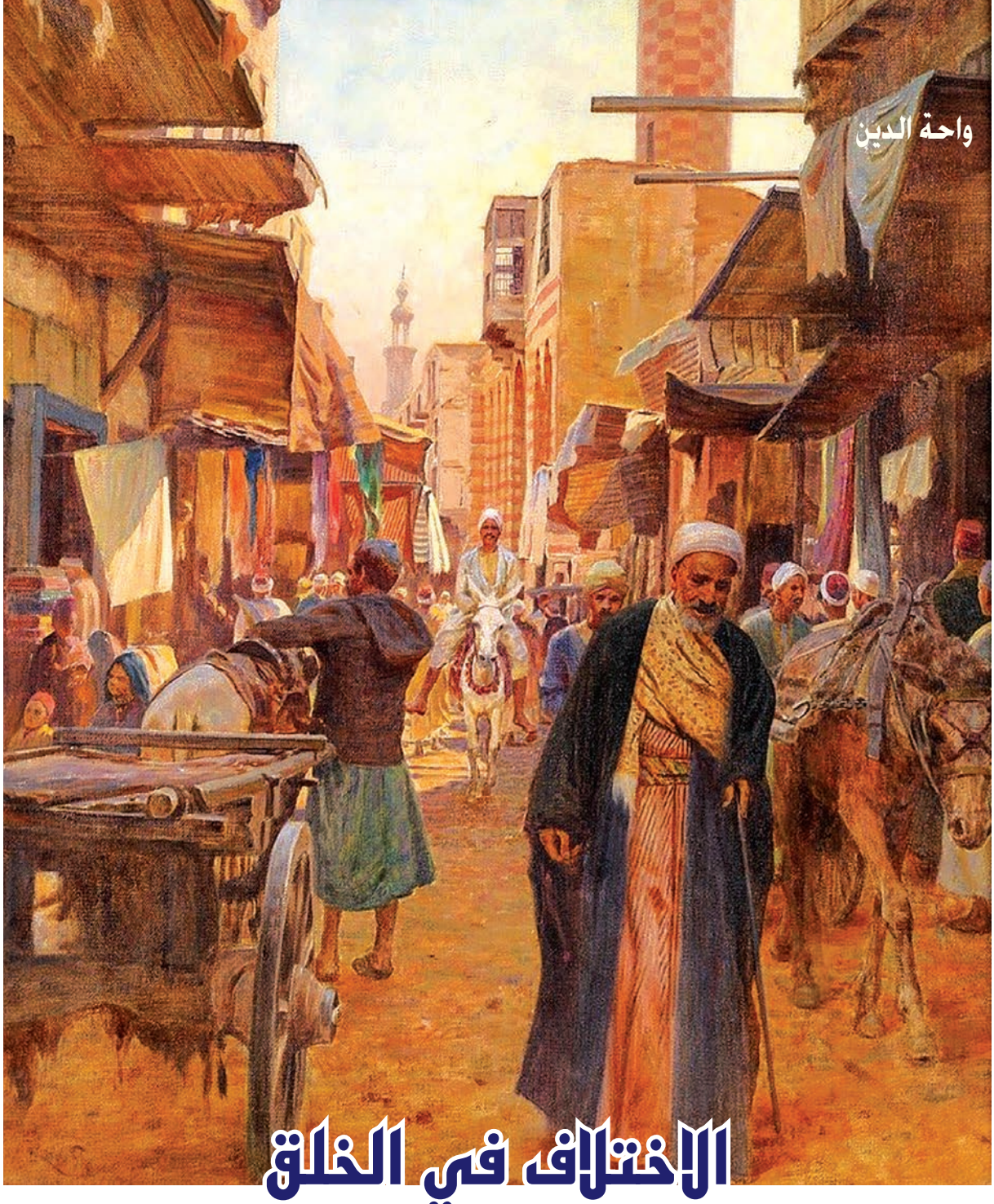

الاختلاف في الخلق

مقتطفات من كتاب اتجاه الدين في مناحي الحياة لسماحة السيد محمد باقر السيستاني

لا شكّ في أن انتقاص أيّ إنسان على أساس وصف خلق عليه أمر مخالف للعدالة؛ إذ لا خيار للإنسان في صفاته التي خلق عليها عموماً، على أن العقل السليم يشهد أن الإنسان ينبغي أن يقدّر بالنظر إلى سلوكه وسيرته الاختيارية حسب مستواه من المعرفة ودرجته في رعاية القيم الفاضلة، وعليه فإنّ الاختلاف في الخلق حتى لو كان اختياريًا ـ بأن استطاع الإنسان من تغيير بعض خلقته و لم يفعل ـ ليس فيه ما يوجب انتقاصه والأعابة عليه.

ولكن هل في ثوابت تعاليم الدين وتوجيهاته ما يخالف هذا الأصل وينافي العدالة؟

وبعبارة أخرى؛ هل يميّز الدين الناس بعضهم على بعض على أساس التمييز القومي أو الطبقي أو الجنسي، كما نجد أنّ بعض العقائد تجاهر بوجوه من التمييز، فتقسم الناس إلى أقسام بعضها أفضل من بعض، فتعتبر قومًا أفضل من بعض، وطبقة أفضل من طبقة والرجل أفضل من الأنثى.

تأصيل العدالة بين الخلق في نصوص الدين

وقد ذكرنا من قبل أنّ تأمّل أي موقف في منظومة فكريّة وتبيّن مخارجه بالدقّة يقتضي تأمّل الخلق كلهم، وأن المعيار الوحيد للتفاضل هو الفضيلة والتبصّر في الحياة، وقد مرت نصوص تأصيل العدل في جميع شؤون الوجود والحياة كمبدأ فطريّ ضروريّ لا محيص عنه، قال عزّ من قائل مخاطبًا المجتمع الجاهليّ الذي كان مليئاً بالتمييز بوجوه مختلفة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾.

وينفي الدين على الخصوص التمييز القومي والنسبي والتمييز بالجنس كونهما تمييزان سائدان في ثقافة الجزيرة العربيّة التي كانت مهد الدين الإسلاميوعامّة المجتمعات القديمة.

عدم التمييز القوميّ بين الخلق في الدين

أمّا عدم التمييز القوميّ فهو أمر ظاهر، ولو كان دين الإسلام مميّزا لقوم لميّز العرب على غيرهم، استمالة لهم إلى الإسلام، وموافقة مع العصبية القوميّة في أوساطهم؛ إذ كان موطنهم مهد هذه الرسالة الجديدة، وبطبيعة الحال صاروا هم حملة الإسلام.

ولكن دين الإسلام لم يتعصّب للعرب ولا فضّلهم على سائر الأقوام، وقد مرّت آنفاً آية التسوية بين الخلق على اختلافاتهم ومنها الاختلاف بينهم بكونهم من شعوب متعدّدة، كما اشتهر قول نبيّ الاسلام: «ليس لعربيّ على أعجميّ فضل إلاّ بالتقوى»؛ بل ذكر القرآن الكريم العرب بفضل الله سبحانه عليهم بجعل هذه الرسالة بلغتهم؛ بل قال سبحانه: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ * فَقَرَأَهُ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ﴾، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾.

وورد توصيف الحكم بكونه عربيًا، فقال سبحانه: ﴿وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾؛ لكن كان من الواضح أنّه لا يعني المضمون العامّ للدين؛ بل إمّا أن يكون المراد ما جاء فيه من اقتفاء آثار إبراهيم(ع) الذي كان الجد الأعلى لقسم من القبائل العربية ومنهم قريش التي أصبحت سيدة القبائل العربية. وكان عليه السلام هو وآثاره ولا سيما البيت الذي بناه يحظى بالاحترام عند عامة العرب وإليه تحج. أو يكون النظر إلى اللغة فوصف الحكم بكونه عربيًا نظرًا إلى المعبّر عنه، كما وصف القرآن في آيات عديدة بكونه عربيًا.

عدم التمييز بالنسب في الدين

وأمّا عدم التمييز النسبي فهو أيضًا مبدأ واضح في القرآن الكريم وسائر النصوص الدينيّة المعتبرة، فقال سبحانه عن تقييم الناس يوم القيامة: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ * فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾، وقال عزّ من قائل - يردّ ادّعاء أهل الكتاب امتيازهم بكونهم من نسل الرسل الإلهيّة: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾.

وربّما يتراءى للناظر في النصوص اعتماد التمييز النسبيّ في شأن السلالات المصطفاة وأقوامهم حيث قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾، وقال تعالى عن بني إسرائيل: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾، وجاء في شأن أهل البيت النبي(ص): ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، وقال تعالى في آية المباهلة: ﴿قُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ﴾، وميّز قرابة النبيّ(ص) في مواضع كما قال تعالى: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾، وقال سبحانه: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى﴾.

ولكنّ التأمّل الجامع في النصوص يرفع هذا الانطباع؛ بل هناك اهتمام في الدين ببيان أنّ مجرّد كون المرء من سلالة الأنبياء لا يضمن له صلاحًا ولا قربًا، وما اصطفاء بعض ذراري الأنبياء إلاّ من جهة ثباتهم على الإيمان والفضيلة في اختيارات الحياة؛ ومن ثمّ كان المقصّرون في هذا الشأن على حدّ الآخرين؛ بل أكثر مذمّة وملامة لأنّهم كانوا في بيئة صالحة. قال سبحانه: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾، قال سبحانه بعد ذكر بني إسرئيل: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾.

وأمّا ما جاء من تفضيل بني إسرائيل على العالمين فالمراد به موقع فضل الله عليهم وإنعامه في أن جعل منهم أنبياء، وليس لأنّ كلّ واحد منهم هو أفضل من سائر الناس؛ ولكنّ جمعًا منهم أخرجوا هذه النعمة إلى هذا المخرج الكاذب وبنوا عليه العصبيّات الذميمة والادّعاءات الواهمة كما قال

سبحانه: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾.

ومن ثم كان أحقّ الناس بالأنبياء والصالحين من اتّبعهم وليس ذرّيّتهم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ..﴾.

مغزى ما جاء من امتياز أهل بيت النبيّ(ص)

وأمّا ما جاء عن آل النبيّ(ص) فهو أمران..

أحدهما؛ وجود جماعة مصطفاة منهم لما امتازوا من إيمان وثبات ونبل وزكاة أسوة بالمصطفين من السلالات السابقة، كما جاء في حديث الثقلين، وأحاديث وردت في شأن كلّ من الإمام علي وفاطمة الزهراء والحسنين(ع).

وثانيهما؛ تشريف قرابة النبي(ص) من بني هاشم وبني عبد المطّلب تشريفًا دنيويًّا، بالنظر إلى حمايتهم له صلى الله عليه وآله وسلم في أداء الرسالة في وقت حاربه سائر قريش والعرب حتى استقر هذا الدين، وربما كانت الغاية من هذا التشريف ـ فضلاً عن كونه عرفانًا بجهود النبي(ص) بإكرامه في ذريته وقرابته ـ هو أن يستشعر الناس فيهم قرب النبي(ص) وعطره حتى لا يغيب عنهم ذكره، ويكون ذلك باعثًا على وجود معلم عنه بين الناس، فيكون ذلك سبيلاً إلى تشويق هؤلاء والناس من حولهم إلى الدين الحقّ، ويتعارف إلى الوقت الحاضر ضرب من التشريف للعوائل المالكة في الدول الأوروبية.

وقد جاء فرض المودة لذي القربى على المسلمين في قوله تعالى: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾، وفي آيات أخرى صرّحت بنفي سؤاله صلى الله عليه واله وسلم وسؤال سائر الأنبياء(ص) أجرًا من أقوامهم مطلقاً دون استثناء. ولعل الوجه فيه: أن الغاية من طلب المودة لذي القربى إنما هو لمصالح راجعة للناس في ذلك كما قال تعالى: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾.

فلم يكن هذا لتشريف مزيد كرامة لذاته عند الله سبحانه واستثناء من أصل تفاضل الناس بالصلاح والتقوى.

عدم التمييز بين الذكر والنثى في الدين

وأمّا التمييز بالجنس ـ والمراد به تفضيل الذكر على الأنثى ـ فقد نفاه الدين، وبيّن أنّ الله سبحانه جعل من الإنسان ذكرًا وأنثى للتعارف والتكامل، فالأنثى صنو الذكر وكفؤه، وقد زوّد الله كلّا منهما بالعقل المميّز والضمير الواعي والمشاعر المؤثّرة والإدارة الحرّة. ويتحمل كلّ مسؤولية عمله وتكون درجته بحسبه، فهما يتفاضلان بالفضيلة والتقوى.

وهذا هو الأصل العامّ والثابت والصريح في الخطاب الديني، **قال سبحانه:** ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى...﴾، **وقال سبحانه:** ﴿أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى﴾، **وقال:** ﴿مَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾، **وقال:** ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ **وقال:** ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾، **وقال تعالى:** ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾، **وقال تعالى:** ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾، **وقال:** ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾.

وقد اصطفى الله سبحانه من الإناث نساءً كما اصطفى من الذكور رجالًا، كما جاء عن مريم(ع) قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾، **وقال تعالى:** ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۞ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ﴾.

وربّما أصابت امرأة وأخطأ رجل ويقع العكس كما وصفه تعالى في القرآن بقوله: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ۞ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾. ومن ذاك موقف ملكة سبأ الصائب في عدم المقابلة مع سليمان بالقوّة بينما لوّح من استشارتها من الرجال بالقوّة كما حكاه القرآن أنها: ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا...﴾.

وهكذا نلاحظ أنّ المنطلق الأساس في الدين ـ رغم أنه جاء في مجتمعات تنتقص المرأة في ثقافتها وخطابها ـ مساواة المرأة بالرجل في الإنسانية ومقوّماتها. وهي تمثل تقدمًا نوعيًا على التشريعات المتعلقة بالمرأة في الحضارات الكبرى المعاصرة لنشأة الإسلام.

ولكن مع ذلك فإنّ هذا لايعني ـ وفق المنظور النوعي ـ تماثلهما التامّ في القابليّات

والطاقات التي زوّد بها كل واحد منهما؛ بل هما مختلفان بعض الشيء، فلكلّ خاصته وصفته وإمكاناته التي يكتمل بها مع الآخر، كما هي الرؤية العقلانية العامّة الراشدة.

طبيعة تكامل الرجل والمرأة في الدين

ونظرة الدين إلى طبيعة العلاقة بين الرجل والمرأة هي التكامل. نعم إنّ تكامل شيئين بعضهما مع بعض على صنفين.

الأول: أن يكون من خلال أدائهما دورًا متماثلًا تمامًا لدور الآخر، كمصْراعين متماثلين يكوّنان بابًا واحد كاملًا، ونعبّر عن ذلك بـ(تكامل المتماثلين).

الثاني: أن يكون من خلال دور متفاوت لهما وفق خصائصهما كمصراعين مختلفين يكمل أحدهما الآخر ولا يصلح كل منهما إلا بذلك، ونعبر عن ذلك بـ(تكامل المختلفين).

والدين يرى أنّ الرجل والمرأة من الصنف الثاني فهما يختلفان في خصائصها اختلافًا اقتضته سنن الخلقة وتنظيم الحياة، وهذا الاختلاف في حقيقته من السمات الرائعة والجميلة والبديعة في الحياة كما قال سبحانه تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾.

ومن ثم فإنّ من الخطأ الذهاب بمذهب التساوي بين الرجل والمرأة في الإنسانيّة إلى نفي أي تفاوت بينهما. ومن الخطأ أيضًا أن يستغني الرجل عن المرأة في الحياة أو تستغني المرأة عن الرجل فيها، فالحياة قائمة بثنائيّة الرجل والمرأة على تفاوت بينهما يكمّل به كلّ واحد منهما الآخر.

وللمرأة نوعًا خصائصها المعروفة ومن أبرزها قوّة العاطفة والإحساس لديها، بالقياس إلى الرجل، كما يتمثّل بمقارنة بسيطة بين موقف الأبوين تجاه الأولاد حيث يتأثر موقف الأمّ بالعاطفة واللين ويتميّز موقف الأب بالحزم والقوّة.

وتلك صفقة اقتضتها تكامل هذه الثنائيّة ودورها في التوليد والتربية. وهي صفة ملحوظة على وجه الغلبة، وإن أمكن تخلّفها في كل من الرجل والمرأة بعوامل إضافيّة؛ ولكن لا يمكن إنكار أن هناك اقتضاءً طبيعياً في المرأة تجاه اللين والعطف وللرجل تجاه الحزم والقوّة؛ ومن ثّم لا ترغب النساء كنوع في الأعمال الشاقة كالقتال والرياضات الخطرة على حدّ ما يرغب فيه الرجال.

وللعاطفة ـ بطبيعة الحال ـ تأثير على إدراكات الإنسان وقراراته بالنظر إلى أن الإنسان كلّ لا يتجزأ؛ فتؤثّر بعض قواه أو تتأثر من بعضها الآخر.

نعم زيادة العاطفة لن تؤثر على الإدراكات العلميّة البحتة، مثل الإدراكات الرياضيّة والهندسيّة للإنسان ونتائجها؛ ومن ثم لا يتفاوت الرجل والمرأة فيها؛ ولكنّها تؤثر على القرارات العمليّة والإدراكات المتعلقة بها، فترى أن الأم تندفع إلى ترجيح الموقف الألين ـ بالمنظور الحاضر ـ تجاه الطفل، ولكنّ الأب قد ينظر إلى الموقف الأصعب ـ الذي يوافق صلاح الطفل بحسب عاقبته ـ وفق تقديره.

ومن نقاط تفاوت الرجل والمرأة هو شعورهما تجاه الآخر، فإنه وإن كانت هنال جاذبية لكلّ منهما في نفس الآخر بما ينظّم سلوكيّاته تجاهها؛ ولكن المرأة هي صاحبة الإغراء والاستجلاب العاطفي في غطاء من الحياء بما لا نجد مثله عند الرجل، كما يتمثّل ذلك بوضوح في الزي الذي يميل كلّ منهما للبسه والظهور به أمام الآخرين؛ ويتميّز الرجل بوقوعه في موقع الانجذاب السريع والاستجابة المعلنة لهذا الإغراء.

ومن نقاط تفاوتها أيضاً أنّ المرأة هي المولّدة للجنس البشريّ بما اقتضى رعاية مزيد من التحوّط في ارتباطاتها؛ حفاظاً على الانتساب واستحقاقات الأطفال؛ لأن البيئة الطاهرة والمصونة هي الأساس الأوّل والأعمق لسلامة التربية.

وإثبات هذه الفروق بين الرجل والمرأة لا يعني بالضرورة كمالًا للرجل وانتقاصًا للمرأة بقدر ما يقتضي تجهيز كلٍّ منهما بحسب سنن الحياة بما يكمّل الآخر.

تمثل تفاوت المرأة والرجل في التشريعات

ومن الطبيعي أن تتمثّل مثل هذه الفروق في التشريعات التي تتعلق بالرجل والمرأة في المجالات المختلفة للحياة، فيما شرع لأجل ضمان العفاف في المجتمع كالستر أو ما شرع لتنظيم الحياة الداخلية للأسرة أو المجالات الأخرى، فالتشريع المبني على تقدير هذه الفروق بنحوٍ ملائم ومعتدل من دون تفريط وإفراط أسعد لكلّ من الرجل والمرأة في هذه الحياة بالمنظور النوعيّ العام؛ لأنه يستمد من التكوين النفسيّ للإنسان.

ومن الممكن ترتيب الحياة العمليّة للإنسان على أساس عدم الفرق بين الجنسين ـ كما تجري عليه الثقافة الغربية ـ إلا أنّ أضرار ذلك على الحياة الأسرية وعلى واقع حال الرجل والمرأة وأولادهما أكثر من نفعه، لا سيّما إذا لوحظت نتائج هذه التجربة ومضاعفاتها في مدّة غير قصيرة.

فالتشريع الأمثل للحياة ما كان أوفق بخلقة الإنسان وفطرته على وجه معتدل وراشد يعتبر بالحقائق على مشهد الحياة، ولا يتنكر لها على أساس بريق عناوين جاذبة كالمساواة، أو على أساس دراسات غير دقيقة تتأثّر في منحاها بالرغبات العامّة والأجواء الحاكمة وتنتفع بأدوات علميّة لم تستوف شروطها المنطقيّة وتسعى للتنكّر إلى الفوارق المشهودة بين الجنسين وإسنادها إلى التربية الأسرية والبيئية والاجتماعيّة.

صابون جود الكفيل

يستحق

التجربة

Joud

الجـــود

مستخلص

من زيت الزيتون البكر

الكفالة المهنية

فرصة من فرص الخير

بعد أن قطعت أشواطاً كبيرةً في مشاريعها الهادفة إلى توفير أعلى مستويات الرعاية لليتامى المحتضنين لديها، وتزامناً مع عيد الغدير الأغر؛ أطلقت مؤسسة العين للرعاية الاجتماعية مبادرة الكفالة المهنية التي تتيح فرصة إيجاد مهنة أو حرفة تمكن اليتامى من الحصول على مصدر للعيش الكريم يستطيعون من خلاله مواصلة مسيرة حياتهم بكل ثقة وثبات - بعد اخفاقهم دراسياً - والمشاركة من خلالها في رفد المجتمع بطاقات شبابية فاعلة. حيث أنشأت المؤسسة لهذا الغرض عدداً من مراكز التدريب المهني التي تتكفل بإنجاز هذه المهمة المباركة ومنها مركز الأنجم الزاهرة الذي باشر بتدريب اليتامى وتأهيلهم في مختلف الورش التي أعدّت إعداداً جيداً منذ حزيران (2018م) وإخضاعهم لدورات تدريبية على يد عدد من المدربين المهرة، إذ أقيمت في تلك الورش تدريبات على مهن مختلفة لكلا الجنسين شملت الجانبين النظري والعملي، فضلاً عن بعض المحاضرات في المهارات الحياتية، وإدارة المشاريع وأخلاقيات المهنة والإرشاد الديني.

كل ذلك في مبادرة الكفالة المهنية المباركة التي أطلقتها مؤسسة العين ليغتنم المؤمنون هذه الفرصة المباركة ويدعموا اليتامى المحتضنين لديها وهم يشقون طريق النجاح ويتسلقون سلم الرقي في مجتمعهم، وذلك عن طريق تبني تكاليف صرفيات التدريب المهني لأحد اليتامى المحتضنين في ورش مركز الأنجم الزاهرة بشكل كامل (كلف التدريب + صرفيات المتدرب)، أو التبرع بعنوان المساهمة في الكفالة المهنية بمبلغ قدره (25000) دينار عراقي، كما يمكن للسادة المتبرعين المساهمة في صندوق القرض الحسن الذي يُعطى للمتدربين وفق تقييم لجنة مختصة في المؤسسة، وذلك بعد أن يتعهد المتدرب -وفق عقد قانوني- بإرجاع مبالغ القرض الحسن بشكل ميسر ليتم إعطاؤها لمتدرب آخر.